الفصل التاسع والثلاثون

مملكة كندة

كندة قبيلة قحطانية في عرف النسابين ، تنسب الى (ثور بن عفير بن عدي ابن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن زيد بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ) ، و (ثور) هو (كندة)[1] .

وقد عرفت عند الأخباريين بـ (كندة الملوك)[2] ، لأن الملك كان لهم على بادية الحجاز من بني عدنان[3] . ولأنهم ملكوا أولادهم على القبائل . وكانوا يتعززون بنسبهم الى كندة ، والى (آكل المرار) ، لأنهم كانوا ملوكاً[4] .

و (كندة) هي (كدت) القبيلة التي ورد اسمها في نصوص المسند ، مثل نص (أبرهة)[5] . بل ورد اسمها في النصوص المذكورة قبل هذا العهد بكثير .

---

١ الاشتقاق (٢١٨/٢) ، ابن حزم : جمهرة أنساب العرب (ص ٣٩٩) ، الاكليل (٥،٤/١٠) ، منتخبات (ص ٩٤) ، ابن خلدون (٢٧٦/٢) نهاية الأرب (٢٨٧/٢) ، البيان والتبيين (٣٢٨/٣) (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ، Enc. II, p. 1018.

٢ (كندة حي من اليمن منهم كانت الملوك) ، منتخبات (ص ٩٤) ، (فأخبرني عن كندة ، قال : (ساسوا العباد ، وتمكنوا من البلاد) ، مروج (٣٢٥/٢) ، (ذكر خلافة عمر) .

٣ ابن خلدون (٢٥٧/٢) .

٤ الطبري (١٣٩/٣) (دار المعارف بمصر) .

٥ Glaser, Zei Inschriften über den Dammbruch von Marib, S. 55, Gunnar Olinder, The Kings of Kinda, 1927, P. 33.

وسيكون رمزه : Olinder

اذ ورد في النص : (Jamme 635) ، المـدون في أيام الملك (شعر أوتر) ملك سبأ وذي ريدان . وقد كانت قد انضمت الى حلف معاد للملك المذكور على نحو ما تحدثت عنه . وكان يحكم (كدت) كندة في ذلك الوقت ملك اسمه (ربعت) ، أي (ربيعة) ، وذكر انه من (ذ ثورم) (ذ الثورم) ، أي من (الثور) (آل ثور) ، وانه كان ملكاً على (كدت) كندة وعلى (قحطن) أي (قحطان)[1] .

فنحن على هذ النص أمام مملكة كندية كانت قد تكوّنت في أيام (شعر أوتر) أي في النصف الثـاني من القرن الأول قبل الميلاد ، وذلك فيما لو جارينا رأي (جامة) وسرنا مسراه في تقدير أيام (شعر أوتر)[2] . وقبل هـذا الوقت فيما لو ذهبنا مذهب غيره ممن يرجعون مبدأ تأريخ سبأ الى أقدم من تقديره ومن تقدير (ريكمنس) . ونحن أيضاً بموجبه أمام ملك من ملوك كندة اسمه (ربعت ذا الثورم) أي (ربيعـة) من (الثور) ، أي من (آل ثور) ، فهو إذن من صميم كندة . وقد رأينا أن أهل الأخبار ينسبون كندة الى (ثور بن عفير) ، ويظهر انهم أخذوا (ثور) القديم ، وهو اسم عائلة او بيت او عشيرة من كنـدة ، فصيروه الجد الأكبر لكندة . وأعطوه النسب الطويل المذكور .

ويلاحظ أن الملك (ربيعة) كان يحكم إذ ذاك (كندة) ، كما كان يحكم (قحطان) . و (قحطان) في هذا الوقت قبيلة ، كانت متحالفة مع (كندة). ومن هذا الاسم أخذ الأخباريون قحطانهم ، فصيّروه جد العرب القحطانيـين . وقد ورد اسم قحطان في نص آخر وسم بـ (REP. EPIG., 4304) . هذا نصه : (عبد شمس سبأ بن يشجب ، يعرب بن قحطان)[3] . وهو نص سبق أن تحدثت عنه ، وقلت إنه في نظري مصنوع موضوع ، وأعتقد ان صانعه وضعه لغايـة واضحة هي اثبات أن مـا يذكره أهل الأخبار عن نسب سبأ ، هو صحيح ، وانـه وارد مذكور في المسند . وبين (صنعاء) و (زبيد) مدينـة تعرف بـ (قطحان)[4] .

---

١ السطر ٢٧ من النص : (Jamme 635).
٢ Mahram, P. 391.
٣ REP. EPIG. 4304, Orientalia, V, 1936, P. 63.
٤ Mahram, P. 138.

وكانت كندة (كدت) مستقلة وعلى رأسها ملك،في أيام (الشرح يحضب) كذلك . وكان ملكها إذ ذاك من المناهضين المعادين للملك (الشرح يحضب) ، فاشترك كما رأينا في أثناء بحثنا عن (الشرح) في الحلف الكبير الذي تألف ضد مملكة (سبأ وذي ريدان) ، والذي امتد من الجنوب نحو الشمال ، وشمل البر والبحر . وقد أصيبت (كندة) بهزيمة في القتال الذي نشب بينها وبين جيش (سبأ) ، ووقع ملكها واسمه إذ ذاك (ملكم) مع عدد من رؤسائها وكبرائها (مراس واكبرت) ، في الأسر . وسيقوا الى (مأرب) ، وأبقوا في الأسر حتى وافقوا على وضع أولادهم رهائن عند ملك (سبأ وذي ريدان) وعلى اعطاء عهد بعدم التحرش مرة أخرى بمملكة (سبأ وذي ريدان) وبمساعدة أعدائها . وقد وافق (مالك) على اعطاء عهد بما طلب منه ووضع ابنه رهينة ، كما وضع رؤساء وكبراء كندة أولادهم رهائن لديه ، فأفرج بذلك عنهم[1] .

وقد فقدت كندة بعد هذا العهد استقلالها في وقت لا نستطيع تحديده الآن ، لعدم ورود شيء عنه في النصوص،وصارت خاضعة لحكم دولة (سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت) ، اذ ورد في النصين (Jamme 660) و (Jamme 665) انها كانت تابعة اذ ذاك لحكم هذه الدولة . يخبر النص : (Jamme 660) ، ان كندة كانت تحت حكم حاكم من حكام (شمر يهرعش) ، سقط اسمه الثاني من النص وبقي اسمه الأول وهو : (وهب اوم) (وهب أوم) (وهب أوام)، وان ذلك الحاكم كان يدير بالاضافة الى كندة قبائل حضرموت ومذحج و (بهلم) (باهلة) و (حدان) و (رضوم) و (أظلم) ، ومعنى ذلك انه كان يدير منطقة واسعة تسكنها قبائل متعددة ، في جملتها كندة التي صارت تحت حكم ملوك سبأ[2] .

ويخبرنا النص : (Jamme 665) ، ان رجلاً من (جدنم) (جدن) كان كبيراً (كبر) على (اعراب ملك سبأ) (أعراب ملك سبأ) وعلى (كندة) (كدت) و (مذحج) وعلى (حررم) (حريرم) (حرر) (حرار) (حرير) وعلى (بهلم) (باهلم) (باهل) (باهلة) وعلى (زيد ايل) ، وعلى كل

---

١ Jamme 576, MaMb 212, Mahram, PP. 67, Geukens 3.

٢ السطر الثاني من النص : Jamme 660, MaMb 156, Mahram, P. 164.

أعراب سبأ (وكل اعرب سبأ) وعلى حمير وحضرموت ويمنت[1] . وقد عيّنه بدرجة (كبر) أي (كبير) ، وهي من أعلى الوظائف في الدولة الملك (ياسر يهنعم) وابنه (ذرأ أمر أيمن) . ومعنى هذا ان كندة كانت تابعة أيضاً في هذا العهد لحكم سبئيين ، وان ذلك الكبير كان يدير منطقة واسعة وضعها الملكان تحت تصرفه .

ويرى (جامة) ان أرض كندة يجب أن تكون في جنوب (قشمم) (قشم) (قشام) (القشم) ، وذلك لأن النص : (Jamme 660) يضعها بين (حضرموت) و (مذحج) ، فيرى لذلك ان منازلها في ذلك الوقت كانت عند هذه المواضع[2] .

والمعروف اليوم ان أول من ذكر اسم (كندة) من المؤلفين الكلاسيكيين على وجه لا يقبل الشك أو الجدل ، هو (نونوسوس) ، وقد دعاها باسم (Kindynoi) أي (كندة) ، وذكر انها وقبيلة (مادينوى) (Maddynoi) (معد) ، هما من أشهر القبائل العربية عدداً ومكانة ، يحكمها رجل واحد اسمه (Kaisos) اي (قيس)[3] .

وعلى أخبار الأخباريين معولنا في تدوين تأريخ كندة . وفي مقدمة هؤلاء ابن الكلبي الأخباري المعروف ، وله مؤلف خصصه بتأريخ كندة ، سماه : (كتاب ملوك كندة) ومؤلفات اخرى لها علاقة بهذه القبيلة[4] ، وابو عبيدة والأصمعي ، وعمر بن شبّة ، وأمثالهم ممن سترد اسماؤهم في ثنايا صحائف هذا الفصل . وهي اخبار تمثل جملة نزعات واتجاهات تصور تحزب اولئك الأخباريين وميولهم الى هذه القبيلة او تلك ، فبينها أخبار تميل الى تأييد اهل اليمن ، وبينها اخبار ترجح كفة (كندة) ، وبينها اخبار ترجع الفضل الى كلب ، وبينها اخبار تؤيد بني اسد ، وطبيعتها على العموم من طبيعة ما يرويه لنا الأخباريون من روايات عن تأريخ العرب قبل الاسلام ، فيها العصبية القبلية والتحزب ، فيجب ان ننظر اليها اذن بحذر شديد .

---

١ السطر الاول فما بعده حتى السطر الرابع من النص .
٢ Mahram, P. 318, 372.
٣ Olinder, PP. 114.
٤ راجع ايضا مقدمة (أولیندر) (Olinder) عن الموارد التي يستعان بها في تدوين تأريخ كندة من الصفحة التاسعة فما بعد ، الفهرست (٩٨) ، (طبعة خياط) .

وقد ذكر حمزة انه نقل اخبار ملوك كندة من (كتاب أخبار كندة)[1] ،وأظنه قصد كتاب ابن الكلبي ، الذي أشرت اليه . وفي استطاعة الباحث العثور على الموارد التي تفيدنا في تدوين تأريخ كندة ومعرفة اتجاهاتها وتعيين أسمائها . و (المفضليات) و (الأغاني) و (النقائض) وأمثالها وبقية كتب الأدب ، هي خير أمثلة لتطبيق ما أقول .

ويذكر الأخباريون أن مواطن (كندة) الأصلية كانت بجبال اليمن مما يلي حضرموت[2] . وقد أطلق (الهمداني) عليها (بلد كندة من أرض حضرموت)[3]. وذكر ياقوت أن كندة مخلاف باليمن ، هو باسم قبيلة كندة[4] ، وروى رواية لابن الكلبي تفيد أن هذه القبيلة كانت تقيم في دهرها الأول في (غر ذي كندة) أي في مواطن العدنانيين ، ومن هنا احتج القائلون في كندة ما قالوا من نسبهم في عدنان،وهو يدل على وجود فريق كان يرى أن قبيلة كندة من قبائل عدنان[5] ويدل هذا الاختلاف على اختلاط كندة بالقحطانيين والعدنانيين ، ومن أمثال هذا الاختلاط تتولد الأنساب .

ولم يتحدث الأخباريون عن مواطن كندة قبل استقرارهم في (غمر ذي كندة) وكيف وصلوا الى هذا الموضع ، ولا عن كيفية انتقالهم الى حضرموت قبل الإسلام . وقد تحدث اليعقوبي عن حرب وقعت بين كندة وحضرموت . طال أمدها ، وهلك فيها جمع من الرؤساء ، منهم : (سعيد بن عمرو بن النعمان بن وهب) ، و (عمر بن زيد) وكان على (بني الحارث بن معاوية) و(شرحبيل ابن الحارث) وكان على السكون ، وهؤلاء من كندة ، و (مسعر بن مستعر) و (سلامة بن حجر) و (شرحبيل بن مرة) ، وهؤلاء من حضرموت . فلما ملكت حضرموت (علقمة بن ثعلب) وهو يومئذ غلام ، لانت كندة بعض اللين ، وكرهت محاربة حضرموت ، وكان القتل قد كثر فيها ، فصارت كندة الى أرض معد ، ثم ملكوا رجلاً منهم كان أول ملوكهم يقال له (مرتع بن

---

١ حمزة (ص ٩٢) ، (كندة) (السكون) (السكاسك) ، الفهرست (١/٩٨) ، (طبعة فلوكل) .
٢ الصفة (ص ٨٥ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢/٢٥٧) .
٣ الصفة (ص ٨٥ وما بعدها) .
٤ البلدان (٧/٢٨٤) .
٥ البلدان (٦/٣٠٤) ، الاغاني (١١/١٦٠) ، المفضليات (ص ٤٢٧) .

معاوية بن ثور) فملك عشرين سنة ، ثم ملك ابنه ثور ، ثم ابنه معاوية بن ثور، ثم الحارث بن معاوية ، وكان ملكه أربعين سنة ، ثم ملك وهب بن الحارث عشرين سنة ، وملك بعده حجر بن عمرو المعروف بـ (آكل المرار) الشهير الذي حالف بين كندة وربيعة بالذنائب وتولى الملك[1] فهؤلاء إذن هم أسلاف (حجر بن عمرو) ، حكموا كندة ومعداً على رأي اليعقوبي قبل حجر بسنين .

وفي رواية لابن الكلبي ان « أول من أنسأ الشهور من مضر مالك بن كنانة، وذلك ان مالك بن كنانة نكح الى معاوية بن ثور الكندي،وهو يومئذ في كندة ، وكانت النسأة قبل ذلك في كندة ، لأنهم كانوا قبل ذلك ملوك العرب من ربيعة ومضر ، وكانت كندة من أرداف المقاول »[2] . وتدل هذه الرواية على ان هذه القبيلة كانت على اتصال وثيق بالقبائل المنتسبة الى معد ، وربما كان اتصالها هذا أوثق وأقوى من اتصالها بقبائل قحطان،مع ان النسابين يعدونها من قبائل قحطان .

وأقدم رجل في كندة تحدث عنه الأخباريون بشيء من التفصيل والوضوح ، هو (حجر) الملقب بـ (آكل المرار)[3] ، وهو ينسب الى (عمرو بن معاوية ابن ثور بن مرتع بن معاوية) على رواية[4] ، والى (عمرو بن معاوية بن الحارث الأصغر بن معاوية بن الحارث الأكبر بن معاوية بن كندة) على رواية أخرى[5] .

---

١ (الذئاب) ، الصفة (ص ١٢٣ ، ١٤٦ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٨٢ ، ٢٠٩) ، البلدان (١٩٧/٤ وما بعدها) ، اليعقوبي (١٧٦/١ وما بعدها) ، (طبعة النجف) .

٢ الأزرقي : أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار (١١٨/١) (المطبعة الماجدية بمكة سنة ١٣٥٢) .

٣ المرار : عشب مر اذا أكلته الابل قلصت عنها مشافرها فبدت أسنانها ، قيل سمي حجر آكل المرار لكشر كان به ، وقيل لان ابنة له سباها ملك من ملوك سليح يقال له (زياد بن هبولة) من الضجاعة ، فقالت له ابنة حجر : (كأنك بأبي قد جاء كأنه جمل أكل المرار ، تعني كاشرا عن أنيابه ، وقيل : انه كان في نفر من أصحابه في سفر ، فأصابهم الجوع ، فأما هو فأكل المرار حتى شبع ، فعرف بآكل المرار . وهناك روايات أخرى في هذا المعنى . راجع : اليعقوبي (١٧٧/١) ، أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر (٧٤/١) ، شرح ديوان امرىء القيس ومعه أخبار المراقسة وأشعارهم في الجاهلية وصدر الاسلام(ص٦)، لحسن السندوبي ، اللسان (١٧١/٤) .

٤ حمزة (ص ٩٢) .

٥ ابن خلدون (٢٧٣/٢) .

ورويت روايات أخرى تختلف عن هذه السلسلة بعض الاختلاف[1]. وذكر انه كان أخاً لـ (حسان بن تبع) لأمه . فلما دوّخ (حسان) بلاد العرب ، وسار في الحجاز ، وهمّ بالانصراف ، ولّى أخاه (حجراً) على (معد بن عدنان) كلها ، فدانوا له ، وسار فيهم أحسن سيرة[2] .

وفي رواية أخرى من روايات الأخباريين ان التبابعة كانوا يصاهرون(بني معاوية ابن عنزة) من كندة ، وكانوا يملكون في (دمون) ، ويولونهم على (بني معد ابن عدنان) بالحجاز ، فكان أول من ولي منهم (حجر آكل المرار) ، ولاّه (تبع بن كرب) الذي كسا الكعبة ، وولى بعده ابنه (عمرو بن حجر)[3] . فيفهم من هذه الرواية ان (بني معد) كانوا أتباعاً للتبابعة يعيّنون عليهم من يشاءون من الناس .

وفي رواية ترجع الى ابن الكلبي ، مفادها ان تبعاً المعروف بـ (أبي كرب) حين أقبل سائراً الى العراق نزل بأرض معد ، فاستعمل عليها (حجراً آكل المرار) ، ومضى لوجهه . فلما هلك ، بقي حجر لحسن سيرته مطاعاً في مملكته . وملك الشأم يومئذ (زياد بن الهبولة السليحي) والملك الأعظم في بني جفنة ، وزياد كالمتغلب على بعض الأطراف ، فقتله حجر . وقد بقي حجر حتى خرف، وله من الولد : عمرو ومعاوية[4] .

فيظهر من الرواية المتقدمة ان حجراً كان معاصراً لـ (زياد بن الهبولة السليحي) وهو ملك عرب الشأم يومئذ ، ويذكر حمزة ان (حجراً) قتله[5] .

وفي رواية أخرى ان حجراً هو أول ملوك كندة . وكانت كندة قبل أن يملك حجر عليها بغير ملك ، فأكل القوي الضعيف ، فلما ملك حجر سدّد أمورها وساسها احسن سياسة ، وانتزع من اللخميين ما كان بأيديهم من أرض (بكر ابن وائل) . وبقي حجر كذلك حتى مات[6] . فـ (حجر) على هذه الرواية

---

١ الاغاني (١٥/٨٢) .
٢ ابن خلدون (٢/٢٧٣) ، ابن قتيبة : المعارف (ص ٣٠٨) ،
٣ ابن خلدون (٢/٢٧٦) .
٤ حمزة (ص ٩٢) ، ابن خلدون (٢/٢٧٣) ، الاغاني (١٥/٨٢) المحبر (ص ٣٦٨ وما بعدها) .
٥ حمزة (ص ٩٢) .
٦ أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر (١/٧٤) (المطبعة الحسينية) .

أول ملك من ملوك كندة ، واول زعيم من زعمائهـا تمكن من توحيد صفوفها ومن تغليبها على قبائل أخرى ، ومن توسيع رقعة أراضيها حتى بلغت حدود مملكة لخم .

وذكر عدد من الأخباريين أن والد (حسان تبع) هو (أسعد أبو كرب)، المعروف بـ (تبع الأوسط) ، وهو ابن (كلى كرب بن تبع)[1] . وقد ذهب (هارتمن) (Hartmann) الى أن (حسان تبع) هذا هو (شرحبيل يعفر) المذكور في نص (Glaser 554) الذي يعود تأريخه الى سنة (٤٥٠) للميلاد ، وهو ابن (أب كرب أسعد) الذي حكم على تقدير (هومل) من سنة (٣٨٥) حتى سنة (٤٢٠) للميلاد[2] ، غير أننا يجب أن نأخذ أمثال هذه الأمور بحذر[3] ، خاصة فيما يتعلق بفتوحات التبابعة واتساع ملكهم وغير ذلك مما يقصه علينا الأخباريون .

ونزل حجر على رواية بنجد بـ (بطن عاقل) ، وكان اللخميون قد ملكوا كثيراً من تلك البلاد ، ولا سيما بلاد (بكر بن وائل) ، فنهض بهم وحارب اللخميين،واستخلص أرض بكر منهم[4] . ويقع (بطن عاقل) في جنوب (وادي الرمة) على الطريق بين مكة والبصرة[5] .

ويحدثنا بعض الرواة أن حجراً بينما كان يغزو عماناً ، بلغ ذلك (الحارث بن الأهيم (الأيهم) بن الحارث الغساني) ، فأغار على أرض حجر ، وأخذ أموالاً لحجر ، وقينة من أحب قيانه اليه ، وانصرف، فقال للقينة : «ما ظنك بحجر؟» فقالت : « لا أعرفه ينام إلاّ وعضو منه يقظان ، وليأتينك فاغراً فاه كأنه بعير أكل مراراً ، فان رأيت ان تنجو بنفسك فافعل » ، فلطمها الغساني فما لبثوا أن لحقهم حجر كما وصفت ، فرد القينة والأموال ، وكان حجر قد رجع من غزاة عمان وهو يقول بعـد أن بلغه غارة الغساني : « لا غزو إلا بالتعقيب »[6] وذكر (الهمداني) في معرض تفسيره لـ (آكل المرار) مضمون هـذه الرواية دون

---

١ المعارف (ص ٣٠٧) ، حمزة (ص ٨٥ وما بعدها) .
٢ Handbuch, S. 104, Hartmann, Die Arabische Frage, S. 481.
٣ Olinder, P. 40.
٤ ابن الأثير (١/٢٠٩) ، شرح القصائد العشر ، للزوزني (ص ٦) .
٤ البلدان (٦/٩٨) ، Olinder, P. 42.
٥ منتخبات (ص ٩٧) .

أن يشير الى اسم الغساني ، او اسم الموضع الذي كان حجر يغزو فيه[1] . وذكرت بعض الروايات الحارث بن جبلة بدلاً من الحارث بن الأهيم (الأيهم) بن الحارث الغساني[2] .

وذكر الميداني القصة نفسها عن (الحارث بن مندلة الضجعمي) من (بني سليح) . أما (ابن هشام) ، فجعله (عمرو بن الهبولة الغساني)[3] .

وفي رواية أخرى ان الغازي هو (زياد بن الهبولة) ملك الشأم ، وكان من (سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة) ، غزا ملك حجر في أثناء اغارة حجر في كندة وربيعة على البحرين ، فأخذ الحريم والأموال ، وسبى (هنداً بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية) زوجة حجر . فلما سمع حجر وكندة وربيعة ، عادوا من غزوهم في طلب (ابن الهبولة) ومع حجر أشراف ربيعة (عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان) ، و (عمرو بن ابي ربيعة بن ذهل بن شيبان) ، وغيرهما ، فأدركوا (زياداً) (عمراً ؟) بـ (البردان) دون عين أباغ ، وقد أمن الطلب ، فنزل حجر في سفح جبل،ونزلت بكر وتغلب وكندة مع حجر دون الجبل بالصحصحان على ماء يقال له (حفير) ، ووقعت معركة تغلب فيها حجر على خصمه ، وأخذ زياد أسيراً ، ثم قتل، واسترجعت منه هند في قصة معروفة مشهورة فيها شعر على الطريقة المألوفة عند الأخباريين[4] . وتقول الرواية انه بعد ان انتقم وانتصر ، عاد الى الحيرة[5] . وقد عرفت هذه المعركة بـ (يوم البردان)[6] .

ويلاحظ ان ابن الأثير اورد في روايته عمراً بدلاً من زياد أي زياد بن الهبولة ملك الشأم كما هو مقتضى الكلام،وأورد في نهاية القصة هذه الجملة « ثم عاد الى الحيرة» وهي تشعر ان موضع حجر كان في الحيرة ، ولم يذكر أحد انه كان فيها .

---

١ الصفة (ص ٨٦) .
٢ الأغاني (١٣/٦٣) ، Olinder, P. 44.
٣ Olinder, P. 45.
٤ ابن الأثير (١/٢٠٧) ، الأغاني (١٥/٨٢ وما بعدها) ، البيان والتبيين (٣/٣٢٨) (لجنة) ، Olinder, P. 43.
٥ ابن الأثير (١/٢٠٨) ، (البردان) ، تاج العروس (٢/٣٠٠) ، القاموس (١/٢٧٧) .
٦ ابن الأثير (١/٢٠٧ وما بعدها) .

ويظهر أن المورد الذي نقل منه ابن الأثير أو أصحاب القصة ، لم يحسن حبكها، او انه خلط بين قصتين ، فظهرت في هذا الشكل .

وقد انتبه ابن الأثير الى هذا الاضطراب ، فقال : « هكذا قال بعض العلماء : ان زياد بن هبولة السليحي ملك الشأم غزا حجراً . وهـذا غير صحيح ، لأن ملوك سليح كانوا بأطراف الشأم مما يلي البر من فلسطين الى (قنسرين)،والبلاد للروم ، ومنهم أخذت غسان هذه البلاد ، وكلهم كانوا عمالاً لملوك الروم ، كما كان ملوك الحيرة عمـالاً لملوك الفرس على البر والعرب ، ولم يكن سليح ولا غسان مستقلين بملك الشأم ، وقولهم ملك الشام غير صحيح .

وزياد بن هبولة السليحي ملك مشارف الشام ، أقـدم من حجر آكل المرار بزمان طويل ، لأن حجراً هو جد الحارث بن عمرو بن حجر الذي ملك الحيرة والعرب بالعراق أيام قباذ أبـي أنو شروان ، وبين ملك قباذ والهجرة نحو ثلاثين ومئة سنة . وقد ملكت غسان أطراف الشأم بعد سليح ستمائة سنة ، وقيل خمسمائة سنة ، وأقل ما سمعت فيه ست عشرة سنة وثلاثمئة سنة ، وكانوا بعـد سليح ، ولم يكن زياد آخر ملوك سليح ، فتزيد المدة زيادة أخرى ، وهذا تفاوت كثير، فكيف يستقيم أن يكون ابن هبولة الملك أيام حجر حتى يغير عليه،وحيث اطبقت رواة العرب على هذه الغزاة ، فلا بد من توجيهها ، وأصلح ما قيل فيه : إن زياد بن هبولة المعاصر لحجر كان رئيساً على قوم ، أو متغلباً على بعض أطراف الشأم . وبهذا يستقيم هذا القول والله أعلم .

وقولهم أيضاً ان حجراً عاد الى الحيرة لا يستقيم أيضاً ، لأن ملوك الحيرة من ولد عدي بن نصر اللخمي ، لم ينقطع ملكهم لها إلا أيام قباذ ، فـإنه استعمل الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار، كما ذكرنا من قبل ، فلما ولي أنو شروان، عزل الحارث ، وأعاد اللخميين . ويشبه أن يكون بعض الكنديين قد ذكر هـذا تعصباً ، والله أعلم .

ان أبا عبيدة ذكر هذا اليوم ، ولم يذكر أن ابن هبولة من سليح ، بل قال : هو غالب بن هبولة ملك من ملوك غسان ، ولم يذكر عوده الى الحيرة ، فزال هذا الوهم »[1].

---

١ ابن الأثير (١/٢٠٨ وما بعدها) .

وبهذا التعليق اراد ابن الأثير اصلاح ما جاء في الرواية المذكورة من اوهام . ولكن تعليقه نفسه فيه اوهام وأخطاء من حيث عدد السنين وتقدير المدد وما شاكل ذلك من أمور ترد في روايات أهل الأخبار .

ولا نعرف متى توفي حجر ، وقد ذكر ابن الأثير انه توفي بـ (بطن عاقل) وبه دفن[1] . ويرى (أولندر) (Olinder) استناداً الى تقدير سنة وفاة الحارث حفيد (حجر) بسنة (٥٢٨) للميلاد ، والى تقدير مدة حكم الضجاعمة من (بني سليح) ، انه حكم في الربع الأخير من القرن الخامس للميلاد[2] .

ويرى بعض الباحثين ان (حجراً) هو (Ogarus) المذكور في بعض التقاويم في حوادث السنين ٤٩٧ و ٥٠١ و ٥٠٢ للميلاد . وقد ذكر معه اسم أخ له عرف بـ (Badicharimus) أي (معديكرب) ، كما ذكر أحد احفاده وهو (Aretha) اي الحارث[3] .

ونسب الأخباريون لـ (حجر) ثلاث زوجات ، هن : (هند) ابنة (ظالم ابن وهب بن الحارث بن معاويـة) ، وتعرف بـ (هند الهنود) ، و (أم أناس بنت عوف بن محلم الشيباني) وهي ام (الحارث بن حجر)[4] ، واما الثالثة فمن حمير[5] .

وفي ديوان الشاعر الجاهلي (بشر بن ابي خازم الأسدي) قصيدة يمدح فيها (عمرو بن ام اناس) ، أو (ام أياس)[6] ، وهو من (كندة) . وام اناس هي ابنة (عوف بن محلم الشيباني) الذي يضرب به المثل ، فيقال : « لا حر بوادي عوف » . وهو من بيت شرف قديم ، لهم قبة يقال لها (المعاذة) من لجأ اليها أعاذوه[7] . ومما جاء في مدح هذا الشاعر له :

---

١ ابن الأثير (١/٢٠٩) .
٢ Olinder, P. 46.
٣ Provincia Arabia, III, S. 286.
٤ الاغاني (٩/١٥٩) (١٥/٨٢) ، جمهرة ابن حزم (٣٢٣) ، الزوزني ، شرح القصائد العشر (٧) .
٥ Olinder, P. 41.
٦ بالياء في ديوان بشر حسب تحقيق الناشر .
٧ الاشتقاق (٢١٥) .

والمانح المئة الهجان بأسرها تُزجى مطافلها كجنة يثرب
ولرب زحف قد سموت بجمعه فلبسته رهواً بأرعن مُطنب
بالقوم مجتابي الحديد كأنهم أسد على لحق الأباطيل شزب[1]

ويستفاد من هذه القصيدة ان الممدوح ، وهو عمرو ، كان كريماً سخياً يهب المئات من الإبل الهجان الطيبة الأعراق ، وانه كان صاحب جيش قوي . وينطبق هذا الوصف على (عمرو بن حجر) . أكثر من انطباقه على (عمرو بن الحارث) جدّ (امرىء القيس) ، وذلك عـلى رواية من زعم أنه كان للحارث جـدّ الشاعر المذكور ولد اسمه (عمرو) من زوجة له دعوها (أم اناس) ابنة (عوف ابن محلم الشيباني) . إذ لم يكن وضع أولاد الحارث وضعاً حسناً بعد النكبة التي نزلت بمصيبة والدهم وبتعقب المنذر بن ماء السماء لهم ، وبثورة القبائل عليهم . فليس من المعقول أن يهب (عمرو) تلك الهبات وأن يجمع لـه جيش لجب . خاصة وأن الرواة لم يذكروا اسمه في جملة أسماء ابناء الحارث الذين ملكهم عـلى القبائل في حياته او الذين ورثوا ملكه بعد مماته .

وقد نص (ابن قتيبة) في كتابه : (المعاني الكبير) على أن (عمرو بن أم أناس) ، هو (عمرو بن حجر الكندي) ، الذي كان جـدّ (عمرو بن هند) ، وهند أم (عمرو بن هند) هي ابنته . وذكر أن (أم عمرو بن حجر) هي (أم اناس بنت ذهل بن شيبان بـن ثعلبة) ، وانه هو المذكور في شعر الحارث بن حلزة ، اذ يقول :

وولدنا عمرو بن ام أناس من قريب لما أتانا الحباء[2]

وقد اختلف أهـل الأخبار كما رأينا في السبب الذي حمل الناس على تلقيب (حجر) بـ (آكل المرار) . فذهبوا في ذلك جملة مذاهب ذكروها في أثناء حديثهم عنه[3] .

---

١ ديوان بشر (٣٩) ، الأغاني (١٥/٨٢ وما بعدها) .
٢ كتاب المعاني الكبير (١/٥٣١ وما بعدها) .
٣ الأغاني (٨/٦٠) (طبعة مطبعة التقدم) ، التبريزي ، القصائد العشر ، (ص٤)، الجاحظ ، البيان والتبيين (٣/٣٢٨) (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) . الكامل ، لابن الأثير (١/٣٠١) ، (الطباعة المنيرية) ، دائرة المعارف ، للبستاني (١/١٢٢) ، الأغاني (١٥/٨٣) .

وصار (عمرو بن حجر) المعروف بـ (المقصور) ملكاً بعد ابيه. ويقولون إنه انما قيل له (المقصور) لأنه قصر على ملك ابيه ، او لأن (ربيعة) قصرته عن ملك أبيه ، وبذلك سمي المقصور[1] .

وكان لـ (عمرو) كما يقول الأخباريون اخ اسمه (معـاوية) ، ويعرف بـ (الجون)[2] (الجوف)[3] ، كان نصيبه (اليمامة) . ويظهر من هـذا الخبر انه اخذ من شقيقه هذه المنطقة وترك الأرضين الباقية لأخيه .

ويذكر اهل الأخبار ان (عمرو) و (معاوية) شقيقه هي (شعبة بن أبـي معاصر بن حسان بن عمرو بن تبع)[4] . ويظهر من هذا النسب انهـا كانت من أسرة يمانية رفيعة ومن البيوتات التي كانت تحكم بعض المقاطعات .

وورد في رواية ان (عمراً) غزا الشأم ومعه ربيعة ، فلقيه الحارث بن أبـي شمر الغساني فقتله . ولم يضف (اليعقوبـي) صاحب الرواية المذكورة الى هـذه الرواية شيئاً عن حياة (عمرو) المقصور[5] . أما (حمزة) ، فلم يشر اليه بشيء[6].

وفي رواية ان ربيعة حينما قصرت عمراً عن ملك أبيه ، استنجد عمرو المقصور (مرثد بن عبـد ينكف الحميري) على ربيعة ، فأمده بجيش عظيم . فالتقوا بـ (القنان) ، فشد عامر الجون على عمرو المقصور فقتله[7] . فهذه الرواية تنفي رواية من يقول ان الحارث بن شمر الغساني هو الذي قتله .

واذا صحت الرواية المتقدمة ، تكون (ربيعة) قد ثارت على (ابن حجر) لأنها أرادت التخلص من حكم كندة لها . وقد تمكنت من ذلك عـلى الرغم من المساعدة اليمانية التي قدمت له .

ويظهر من الروايات الواردة عن عمرو ومن تلقيبه بلقب : (المقصور) ومـن

---

١ ابن الأثير (١/٢٠٩) ، المحبر (ص ٣٦٩) ، المفضليات (ص ٤٢٩) ، الاغاني (٨/٦٠) .
٢ ابن الأثير (١/٢٠٩) ، الاغاني (١٥/٨٢) ، المحبر (ص ٣٦٩) .
٣ (الجوف) ، الأغاني (٨/٦١) ، وهـو تصحيف ، والصحيح (الجـون) ، (٩/٧٩) (طبعة دار الكتب) .
٤ الأغاني (٨/٦٠) .
٥ اليعقوبي (١/١٧٧) ، الأغاني (٨/٦٥) .
٦ حمزة (ص ٩٢) .
٧ يوم القنان ، المفضليات (ص ٤٢٩) ، البلدان (٧/١٦٥) .

الشروح التي ذكرها الرواة في تفسير هذه الكلمة ، أن (عمراً) لم يكن قوياً صاحب عزم وارادة ، وأنه اكتفى بما وقع له من أبيه ، فلم يسع في توسيعه وتقويمه ، وأن حكمه على ما يظهر لم يكن طويلاً ، وقد جعله ابن الكلبي في جملة من كان يخدم (حسان بن تبع) تبع حمير ، ولم يلقبه بلقب ملك، بل قال: إنه كان سيد كندة في زمانه . وذكر ان (حسان بن تبع) حين سار الى جديس ، خلفه على بعض أموره . فلما قتل (عمرو بن تبع) أخاه (حسان بن تبع) ، وملك مكانه اصطنع (عمرو بن حجر) ، وكان ذا رأي ونبل ، وكان مما اراد عمرو اكرامه به وتصغير بني اخيه حسان ان زوّجه ابنة (حسان بن تبع) ، فتكلمت في ذلك حمير . وكان عندهم من الأحداث التي ابتلوا بها ، لأنه لم يكن يطمع في التزويج الى اهل ذلك البيت احد من العرب . وولدت ابنة (حسان بن تبع) لعمرو بن حجر (الحارث) الذي عيّنه (تبع بن حسان بن تبع بن ملكيكرب ابن تبع الأقرن) ، أي خال (الحارث) على بلاد معد[1] .

ويظهر من رواية مرجعها ابن الكلبي ان الأسود بن المنذر ملك الحيرة ، كان قد تزوج ابنة لـ (عمرو بن حجر) ، فولدت له (النعمان بن الأسود) الذي حكم في زمن (قباذ) اربع سنين ، ولذلك عرفت بـ (ام الملك)[2] .

وانتقل الملك على رأي اكثر الأخباريين من عمرو الى ابنه الحارث : وهو المعروف بـ (الحارث الحرّاب) على بعض الروايات[3] . وقد ورد في شعر للشاعر (لبيد) هذا البيت :

والحارث الحرّاب خلّى عاقلاً داراً أقام بها ولم يتنقل

وقد ذهب الأصمعي الى ان الشاعر المذكور قصد بـ (الحارث الحرّاب) الحارث الذي نتحدث عنه . وذلك لأن (عاقلاً) من ديار كندة . وهو جبل كان يسكنه (حجر أبو امرىء القيس)[4] . واذا أخذنا بهذه الرواية وجب علينا ان نفترض انه كان قد اقام بموضع عاقل وحكم منه في أغلب الأوقات .

---

١ الطبري (٢/٨٦) .
٢ الطبري (١/٩٠٠) ، حمزة (ص ٦٩) .
٣ شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري(ص ٥٥ ، ٢٧٥) .
٤ شرح ديوان لبيد (ص ٢٧٥) .

وقد نعت (حمزة) الحارث بـ (المقصور)[1] . وقد رأينا ان جماعة من الأخباريين منحت هذا اللقب لـ (عمرو) .

وقد اختلف الرواة في ام (الحارث) ، فذهب بعض منهم الى انها ابنة (حسان بن تبع)[2] ،وذهب بعض منهم الى انها (ام أناس)[3] او (ام اياس)[4] بنت (عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان) ، وامها (أمامة بنت كسر بن كعب ابن زهير بن جشم) من تغلب[5] .

وفي رواية اخرى ، ان (ام اناس) ، كانت زوجة لـ (حجر) وهي ام (الحارث بن حجر) و (هند بنت حجر) . ولذلك فهي ليست أماً للحارث ابن عمرو المقصور ، كما جاء في الرواية المتقدمة . ويظهر ان مرد هذا الاختلاف يعود الى تشابه الاسمين ، والى عدم تمييز الرواة بينهما. ويكون (الحارث بن حجر) المذكور اذن شقيقاً لعمرو بن حجر[6] .

وقد ذكر (ثيوفانس) رئيساً عربياً دعاه (الحارث من بني ثعلبة) (Aretas O. Thalabaynys) ، يظن (أولندر) انه (الحارث الكندي)[7] ، ويرجح لذلك الرواية الثانية التي تجعل ام الحارث (ام أناس) (ام اياس) . ذلك لأن (ام أناس) من شيبان ، وشيبان هو ابن ثعلبة في عرف النسابين ، فيكون هذا الحارث على رأيه هو الحارث الكندي .

ولست أستطيع الجزم بهذا الرأي ، فان (الحارث) من الأسماء المعروفة الكثيرة الاستعمال عند العرب في بادية الشأم وفي بلاد الشأم ، وشمال الحجاز ونجد ، وقد عرفنا أسماء عدد من الأمراء وسادات القبائل عرفوا بهذا الاسم ، ثم ان نسبة الحارث الى الثعلبانية (ثعلبة) ، لا يدل على ان الحارث الذي ذكره (ثيوفانس) هو (الحارث الكندي) ،بل يدل على انه كان من قبيلة اسمها (ثعلبة) أو (ثعلبان).

وقد ذكر كتبة اليونان والسريان اسم قبيلة (ثعلبة) وكانت من القبائل الخاضعة

---

١ حمزة (ص ٩٢) .
٢ الطبري (١/٩٠٠) ، حمزة (ص ٦٩) .
٣ المفضليات (ص ٤٢٩) ، الاغاني (٨/٦٢) .
٤ Olinder, P. 48.
٥ المفضليات (ص ٤٢٩) .
٦ الاغاني (١٥/٨٣) .
٧ Olinder, P. 48.

للروم . فورد (طايوي ربيث رومرين دبيث ثعلبة) ، أي (العرب الذين في أرض الروم الملقبون ببني ثعلبة) ، وورد ذكرها في اخبار مؤرخي الكنيسة في النصف الثاني من القرن الرابع للميلاد[1] .

وفي (طيء) ثلاثة بطون عرفت بـ (بني ثعلبة) ، هي (ثعلبة بن ذهل)، و (ثعلبة بن رومان) و (ثعلبة بن جدعاء) ، وتعرف بـ (ثعالب طيء). ويوجد أيضاً (بنو ثعلبة بن شيبان) من بطون (تميم)[2] . وقد عرف (بنو شيبان ابن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل) و (بنو شيبان بن ثعلبة بن عكابة) بـ (بني ثعلبة) في تواريخ الروم والسريان . ومن (شيبان) كان (حارث بن عباد) سيد شيبان في حرب البسوس . وقد عرفوا بـ (Thalabenes) عند الروم[3] .

وتذكر رواية لابن الكلبي أن (تبع بن حسان بن تبع بن ملكيكرب بن تبع الأقرن) ، اعان (الحارث بن عمرو) وساعده على تولي الملك . و (تبع بن حسان بن تبع) ، هو خاله على هذه الرواية . وتزعم انه بعث الى ابن أخته بجيش عظيم سار معه الى بلاد معد والحيرة وما والاها ، فسار الى (النعمان بن امرىء القيس بن الشقيقة) ، فقاتله ، فقتل النعمان وعدة من اهل بيته ، وهزم اصحابه ، وافلته المنذر بن النعمان الأكبر ، وملك (الحارث بن عمرو الكندي) ما كانوا يملكون[4] .

ولا نعرف من الأسماء المذكورة في الكتابات العربية الجنوبية اسم ملك يدعى (تبع بن حسان بن تبع بن ملكيكرب بن تبع الأقرن) . ويرى (هارتمن) (Hartmann) أن الأخباريين ارادو به (شرحبيل يكف) ، وهو ابن شرحبيل يعف) المذكور اسمه في النص المؤرخ بسنة (٤٦٧)[5] .

يظهر من رواية (ابن الكلبي) المتقدمة ان الملك لم ينتقل الى الحارث من ابيه ارثاً،وانما جاءه بمساعدة خاله (تبع بن حسان بن تبع) . ولم تذكر الرواية

---

١ شيخو ، النصرانية (القسم الأول ص ٧٩) ، Rothstein, S. 74.

٢ النصرانية (القسم الأول ، ص ١٢٧) ، ابن حزم ، جمهرة (ص ٢٩٧) .

٣ النصرانية (القسم الأول ، ص ١٣١ وما بعدها) ، (القسم الثاني : ٢/٤٢٢) .

٤ الطبري (٢/٨٦) .

٥ Olinder, P. 54, Hartmann, S. 497.

الأسباب التي دعت الى اعتماد الحارث على (تبـــع) في تولي الملك. ولو صحت هذه الرواية كان معناها انه لم يتمكن من الحصول على حقه في الملك إما لامتناع القبائل من قبوله ملكاً عليها ، مما دعاه الى الاستعانة بـ (تبع) او بغيره ، وإما لأن ملك والده يوم توفي لم يكن واسعاً ، بل كان مقتصراً عـــلى كندة ومن في حلفها ، او لأنه لقي مقاومة من أشقائه واقربائه ، مما دفعه إلى الاستعانة بالغرباء في تنصيب نفسه ملكاً عـــلى كندة وعلى القبائل الأخرى ، ثم على توسيع ملكه فيما بعد .

ولدينا رواية اخرى ، تذكر ان الذي ساعد (الحارث بن عمرو) على تولي الحكم على بلاده معد ، هو (صهبان بن ذي خرب)،وذلك ان معداً لما انتشرت تباغتت وتظالمت ، فبعثت الى صهبان تسأله ان يملك عليها رجلاً يأخـذ لضعيفها من قويها مخافة التعدي في الحروب ، فوجّـه اليها الحارث بن عمـــرو الكندي ، واختاره لها ، لأن معداً أخواله ، امه امرأة من بني عامر بن صعصعة ، فسار الحارث اليها بأهله وولده . فلما استقر فيها ، ولى ابنه حجر ، وهو أبو امرىء القيس الشاعر على أسد وكنانة ، وولى ابنه شرحبيل على قيس وتميم ، وولى ابنه معدي كرب ، وهو جد الأشعث بن قيس الكندي على ربيعـة ، فمكثوا كذلك الى أن مات الحارث ، فأقر صهبان كل واحـد منهم في ملكـــه ، فلبثوا بذلك ما لبثوا . ثم ان بني أسد وثبوا على ملكهم حجر بن عمرو ، فقتلوه . فلما بلغ ذلك صهبان ، وجه الى مضر عمرو بن نابل اللخمي ، والى ربيعة لبيد بن النعمان الغساني ، وبعث برجـل من حمير يسمى أوفي بن عنق الحيـة وأمره ان يقتل بني أسد أبرح القتل . فلما بلغ ذلك أسداً وكنانة ، استعـدوا . فلما بلغ أوفي ذلك ، انصرف نحو صهبان ، واجتمعت قيس وتميم فأخرجوا ملكهم عمرو بن نابل عنهم فلحق بصهبان ، وبقي معدي كرب جد الأشعث ملكاً على ربيعة [1] .

اما صهبان ، فهو رجل لم يكن من اهل بيت الملك في حمير ، بل كان قـد وثب على الملك واخذه عنوة ، وذلك حينما تضعضع امر الحميرية بقتل (عمرو بن تبع) اخاه (حسان بن تبع) ، فانتهز صهبان هذه الفرصة ، ووثب على (عمرو ابن تبع) فقتله واستولى على ملكه وصار الأمر اليه [2] .

---

١ الدينوري : الأخبار الطوال (ص ٥٣ وما بعدها) .
٢ الاخبار الطوال (ص ٥٢ وما بعدها) .

وهناك رواية اخرى تذكر ان (صهبان بن محرث) هو الذي عين الحارث على معد . فهي تأييد للرواية المتقدمة ، سوى انها عينت اسم والد صهبان ، بأن نصت عليه ، فجعلته (محرثاً) . اما الرواية المتقدمة فدعته (ذي خرب) . و (ذي خرب) لقب ، يعبر عن منصب وليس باسم علم .

وفي رواية يرجع سندها الى ابي عبيدة ، ان بكر بن وائل لما تسافهت ، وغلبها سفهاؤها ، وتقاطعت ارحامها ، ارتأى رؤساؤهم فقالوا : إن سفهاءنا قد غلبوا على أمرنا فأكل القوي الضعيف . فنرى ان نملك علينا ملكاً نعطيه الشاة والبعير ، فيأخذ للضعيف من القوي ويرد على المظلوم من الظالم ، ولا يمكن ان يكون من بعض قبائلنا ، فيأباه الآخرون ، فيفسد ذات بيننا ، ولكننا نأتي تبعاً فنملكه علينا ، فأتوه ، فذكروا له امرهم ، فملك عليهم الحارث بن عمرو آكل المرار الكندي ، فقدم فنزل بطن عاقل[1] .

ويدرك من هذه الروايات انه كان للتبابعة نفوذ على قبائل معد ، وان تلك القبائل كانت تستشيرهم في أمورها ، وتحتكم اليهم فيما يحدث بينهم من خلاف . وانه كان لهم يد في تعيين الحارث وتنصيبه على تلك القبائل .

والشيء الوحيد الذي يمكن استخلاصه من هذه الروايات المدونة عن تعيين الحارث ملكاً ، انه تولى الحكم على كندة بعد وفاة أبيه ، وانه وسع ملكه بعد ذلك وقد يكون بمساعدة (تبع) ، فصار ملكاً على كندة وبكر وعلى قبائل اخرى وانه تمكن بشخصيته من رفع شأن قبيلته . ويرى (أولندر) انه حكم حوالي سنة (٤٩٠) للميلاد[2] .

وليس من السهل تعيين اسم (التبع) الذي عين الحارث ملكاً كما جاء ذلك في الروايات اليمانية بالاستناد الى نصوص المسند ، وليس من السهل ايضاً تصور بلوغ نفوذ (ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت واعرابها في الجبال وفي تهامة) المواضع التي ذكرها اخباريو اليمن . وقد رأينا آثار الوهن بادية على تلك المملكة ، بحيث لم تتمكن من مقاومة غزو الحبشة لها . وليس من السهل ايضاً تصور مجيء (بكر) والقبائل الأخرى مختارة طائعة الى الحارث تلتمس منه ان

---

١ نهاية الارب (١٥/٤٠٦) ، العقد الفريد (٦/٧٨) ، (طبعة العريان) .
٢ Ollnder, P. 56.

يتفضل عليها بأن يكون ملكاً عليها ، وقد رأيناها كما يقول الأخباريون أنفسهم تنتقض على البيت المالك من كندة وتثور عليه ، وتقتل امراءها منهم ، حال علمها بضعف ذلك البيت ، وبوفاة الرجل الذي جمع تلك القبائل بقوته ، ووحدها بشخصيته . والأقرب الى المنطق هو أن هذه القبائل لم تعترف برئاسة الحارث عليها ، وبتاجه عليها إلا لما رأته فيه من القوة ، وإلا بعد استعمال القوة والعنف مع عدد من القبائل ، فرضيت به ملكاً ما دام قوياً والأمر بيديه ، وهو منطق السياسة في الصحراء . وبهذا التفسير نستطيع فهم تكون ممالك أو امارات بسرعة عجيبة ، تظهر فجأة قوية تحتضن جملة قبائل ، ثم تسير بسرعة فتهدد حدود الدول الكبرى وتهاجمها كالفيضان ، فإذا أصيبت بهذه الدول تمزقت أوصالها وتجزأت كما تتجزأ الفقاعة وتذوب . هكذا حياة الممالك في البوادي ، ممالك تولد ، وأخرى تموت .

ويذكر الأخباريون أن الحارث الكندي جمع الى ملكه ملك الحيرة وآل نخم ، وذلك في زمن قباذ . ورووا في ذلك جملة روايات عن كيفية تولي الحارث ملك الحيرة ، وطرده لملكها الشرعي وتولى الحكم دونه . فرووا أن الزمن لم يكن مؤاتياً لـ (قباذ) يوم أوتي الحكم . كانت الأحوال مضطربة ، والفتن رافعة رأسها في مواضع متعددة ، والنفوذ في المملكة بيد الموابذة ، ولموبذان موبذ الكلمة العليا ، إذ هو الرئيس الروحي الأعلى في المملكة ، كما كان للأغنياء وللاقطاعيين الشأن الأول في سياسة الدولة . فلم يعجب قباذ الوضع ، لأنه (ملك الملوك) (شاهنشاه) ومن حق (ملك الملوك) الا ينازع في الملك ، ففكر في طريقة لتقليص ظل الموابذة والمتنفذين في المملكة من كبار الأغنياء والملاكين ، ورأى أن خير ما يفعله في هذا الباب ، هو نشر تعاليم مزدك بين الناس . فإذا انتشرت كانت كفيلة بالقضاء على الأغنياء وعلى رجال الدين المتنفذين[1] . وكان مزدك وأصحابه يقولون ان الناس تظالموا في الأموال والأرزاق ، فاغتصبها بعضهم من بعض ، وان الأغنياء قد اغتصبوا رزق الفقراء ، وانهم يأخذون للفقراء من الأغنياء ، ويردون من المكثرين على المقلّين ، وانه من كان عنده فضل من الأموال والنساء والأمتعة ، فليس هو بأولى به من غيره . فافترص السفلة ذلك ، واغتنموه ، وكانفوا مزدك وأصحابه وشايعوهم فابتلي الناس بهم ، وقوى أمرهم حتى كانوا

---

١ Noldeke, Aufsatze zur Persischen Geschichte, Leipzig, 1887, S. 109.

يدخلون على الرجل في داره ، فيغلبونه على منزله ونسائه وأمواله ، لا يستطيع الامتناع منهم »[1] . هكذا وصف الطبري وغيره من الأخباريين دعوة مزدك . فهي على هذا الوصف دعوة اشتراكية جاءت مقوضة لرجال الدين والاقطاعيين ومتنفذة الأغنياء .

فلما شايع قباذ المزدكية ، اجتمعت كلمة (موبذان موبذ) والعظماء على ازالته من ملكه ، فأزالوه عنه وحبسوه ، وعيّنوا أخاه جاماسب مكانه . ويذكر الطبري ان ذلك كان في السنة العاشرة لملك قباذ ، فيكون ذلك في سنة (٤٩٨ م) على رأي من جعل ابتداء ملكه في عام (٤٨٨ م)[2] . وقدّر حدوثه أيضاً في سنة (٤٩٦ م)[3] . وقد مكث أخوه ملكاً ست سنوات ثم أزاله عنه أخوه قباذ الذي أفلت من السجن في قصة يرويها الأخباريون ، واستعاد قباذ بذلك ملكه[4] . فتكون استعادته ملكه في حوالي سنة (٥٠٤) أو (٥٠٢ م) . وقد مكث ملكاً حتى انتقل الى العالم الثاني في سنة (٥٣١ م) .

وتذكر رواية الأخباريين هذه ، ان الملك قباذ طلب من المنذر بن ماء السماء الدخول فيما دخل فيه من مذهب مزدك وزندقته ، فامتنع ، فاغتاظ قباذ وانزعج منه ، ودعا (الحارث بن عمرو) الى ذلك ، فأجابه ، فاستعمله على الحيرة . وطرد المنذر من مملكته ، فعظم سلطان الحارث ، وفخم أمره ، وانتشر ولده ، فملكهم على بكر وتميم وقيس وتغلب وأسد[5] . وكان من حلّ نجداً من أحياء نزار تحت سلطان الحارث دون من نأى منهم عن نجد[6] . فتربط هذه الرواية كما نرى بين زندقة قباذ وعزل المنذر وتنصيب الحارث ملكاً على الحيرة، بقبوله مذهب قباذ.

وروى (حمزة) ان الحارث كان قد طمع في ملك (آل لخم) ، وكان قد وجد ان (قباذ) ضعيف الهمة فاتر العزم ، غير ميال الى القتال ، وانه سوف لا يساعد آل لخم ، إن هو هاجمهم ، لذلك ساق كندة ومن كان معه من بكر ابن وائل عليهم ، وباغت سادة الحيرة ولم يتمكنوا من الوقوف أمامه ، فهرب

---

١ الطبري (٢/٨٨) .
٢ Ency. Brita., Vol., 17, P. 574, Ency., 4, P. 178.
٣ Noldeke, Aufs., S. 109.
٤ الطبري (٢/٨٧) .
٥ ابن الأثير (١/٢٠٩) ، الطبري (٢/٨٩ وما بعدها) ، المحبر (ص ٣٦٩) .
٦ حمزة (ص ٩٢) .

(المنذر) من دار مملكته بالحيرة ومضى حتى نزل الى (الجرساء الكلبي) وأقام عنده الى أن تغير الحال بوفاة قباذ ، وتبدّل سياسة الحكومة بتولي (كسرى أنو شروان) الملك. فعاد الى ملكه وقهر الحارث وتغلب عليه واستعاد ما اغتصب منه[1].

وذكر (حمزة) ان سبب لجوء (بكر بن وائل) الى الحارث ، وخضوعها لحكمه واشتراكها معه في مهاجمة (آل لخم) وانتزاع الحكم منهم ، هو أن (امرأ القيس البدء) كان يغزو قبائل (ربيعة) ، فينكى فيهم، ومنهم أصاب (ماء السماء) ، وكانت تحت (أبي حوط الخطائر) فثارت به (بكر بن وائل) فهزموا رجاله ، وأسروه ، وكان الذي ولي أسره (سلمة بن مرة بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان) ، فأخذ منه الفداء وأطلقه ، فبقيت تلك العداوة في نفوس (بكر بن وائل) الى أن وهن أمر الملك (قباذ) ،فعندها أرسلت بكر الى الحارث بن عمرو فملكوه ، وحشدوا له ، ونهضوا معه حتى أخذ الملك ودانت له العرب[2] .

وبهذه الكيفية شرح (حمزة) كيفية تولي (الحارث) عرش الحيرة ، وسبب بغض (بكر بن وائل) لآل لخم ، بغضاً دعاها إلى تنصيب (الحارث) ملكاً عليها ، وعلى الانتقام من آل لخم .

ولابن الكلبي رواية عن كيفية تولي الحارث ملك الحيرة ، ذكر « ان قباذ ملك فارس لما ملك كان ضعيف الملك،فوثبت ربيعة على النعمان الأكبر ابي المنذر الأكبر ذي القرنين . وإنما سمي ذا القرنين لضفرين كانا له ، فهو ذو القرنين بن النعمان بن الشقيقة . فأخرجوه ، فخرج هارباً حتى مات في إياد ، وترك ابنه المنذر فيهم ، وكان أرجى ولده عنده . فتنطلق ربيعة الى كنده . وكان الناس في الزمن الأول يقولون ان كندة من ربيعة . فجاؤوا بالحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندي ، فملكوه على بكر بن وائل ، وحشدوا له ، وقاتلوا معه ، فظهر على ما كانت العرب تسكن من أرض العراق ، وأبى قباذ أن يمد المنذر بجيش . فلما رأى ذلك المنذر ، كتب الى الحارث بن عمرو : إني في غير قومي، وأنت أحق من ضمني واكتنفني ، وانا متحول اليك . فحوّله اليه ، وزوجه

---

١ حمزة (ص ٧٠ وما بعدها) .
٢ حمزة (ص ٧٠ وما بعدها) .

ابنته هنداً . ففرق الحارث بن عمرو بنيه في قبائل العرب ، فصار شرحبيل بن الحارث في بكر بن وائل وحنظلة بن مالك وبني زيد بن تميم وبني أسد وطوائف من بني عمرو بن تميم والرباب ، وصار غلفاء وهو معديكرب في قيس ، وصار سلمه بن الحارث في بني تغلب والنمر بن قاسط وسعد بن زيد مناة بن تميم ... ومع معديكرب الصنائع ، وهم الذين يقال لهم بنو رقيّة أم لهم ينسبون اليها . وكانوا يكونون مع الملوك من شذاذ الناس . فلما هلك أبوهم الحارث بن عمرو ، تشتّت أمرهم وتفرقت كلمتهم ، ومشت الرجال بينهم ، وكانت المغاورة بين الأحياء الذين معهم ، وتفاقم أمرهم حتى جمع كل واحد منهم لصاحبه الجموع وزحف اليه بالجيوش ... »[1] .

ولابن الكلبي رواية أخرى دوّنها الطبري ، هذا نصها : « لما لقي الحارث ابن عمرو بن حجر بن عدي الكندي النعمان الأكبر ، وملك الحارث بن عمرو الكندي ما كان يملك بعث قباذ بن فيروز ملك فارس الى الحارث بن عمرو الكندي انه قد كان بيننا وبين الملك الذي قد كان قبلك عهد ، واني احب أن ألقاك .

وكان قباذ زنديقاً يظهر الخير ويكره الدماء ، ويداري أعداءه فيما يكره من سفك الدماء ، وكثرت الأهواء في زمانه واستضعفه الناس . فخرج اليه الحارث ابن عمرو الكندي في عدد وعدة حتى التقوا بقنطرة الغيوم ... فلما رأى الحارث ما عليه قباذ من الضعف، طمع في السواد ، فأمر أصحابه مسالحه أن يقطعوا الفرات، فيغيروا في السواد، فأتى قباذ الصريخ وهو بالمدائن فقال: هذا من تحت كنف ملكهم. ثم أرسل الى الحارث بن عمرو ان لصوصاً من لصوص العرب قد أغاروا ، وانه يجب لقاءه ، فلقيه . فقال له قباذ : لقد صنعت صنيعاً ما صنعه أحد من قبلك . فقال له الحارث : ما فعلت ولا شعرت ، ولكنها لصوص من لصوص العرب، ولا أستطيع ضبط العرب الا بالمال والجنود . قال له قباذ : فما الذي تريد؟قال: أريد أن تطعمني من السواد ما أتخذ به سلاحاً . فأمر له بما يلي جانب العرب من أسفل الفرات ، وهي ستة طساسيح . فأرسل الحارث بن عمرو الكندي الى تبع وهو باليمن : إني قد طمعت في ملك الأعاجم ، وقد أخذت منه ستة طساسيح،

---

١ المفضليات (ص ٤٢٧ وما بعدها) ، النقائض (ص ١٠٧٢ وما بعدها) ، (طبعة ليدن) .

فاجمع الجنود ، وأقبل ..... فجمع تبع الجنود ، وسار حتى نزل الحيرة،وقرب من الفرات ، فآذاه البق ، فأمر الحارث بن عمرو أن يشق له نهر الى النجف ، وهو نهر الحيرة ، فنزل عليه ، ووجه ابن أخيه شمر ذي الجناح الى قباذ، فقاتله فهزمه شمر حتى لحق بالري » . وقد ترك ابن الكلبي الاشارة الى الحارث وظفر الى الحديث عن فتوحات شمر الذي أوصل فتوحاته الى القسطنطينية ، ثم الى رومة (رومية) ، ثم الى عودة (تبع) وتهوده بتأثير أخبار يثرب ، ثم الى علم (كعب الأحبار) الذي استمده على حد قوله من بقية ما أورثت أحبار يهود[1] .

ويرى (موسل) ان التقاء (الحارث) بـ (قباذ) (٤٨٨ – ٥٣١ م) عند قنطرة الفيوم ، كان سنة (٥٢٥) للميلاد[2] . والفيوم موضع لا يبعد كثيراً عن (هيت)[3] .

يفهم من رواية ابن الكلبي هذه ان الحارث التقى بملك الحيرة (النعمان بن المنذر) في معركة أسفرت عن مقتل (النعمان) وفرار المنذر ابنه ، وعن انتصار عرب الحارث على عرب الحيرة،واستيلاء الحارث على ما كان يملكه النعمان . فلما حدث هذا ووقع ، اضطر (قباذ) الى ملاطفة الحارث واسترضائه . ولكن الحارث طمع في أكثر من ذلك ، طمع في السواد ، فأقطعه منه ما يلي جانب العرب من أسفل الفرات ، أقطعه منه ستة طساسيج . فليس في هذه الرواية اشارة الى قبول (الحارث) الدخول في المزدكية ، ولا الى طرد النعمان من ملكه نتيجة لرفضه اتباعه في دينه ، انما هو ضعف قباذ وعجزه عن مساعدة صاحبه النعمان وانتهاز الحارث الذكي هذه الفرصة المواتية للاستيلاء على ما طمع فيه من ملك النعمان .

أما الشق الثاني ، وهو خبر (تبع) ، وحروبه ومساعدته له ، فهو على ما يظهر من هذا النحو الذي ألفناه في ربط تأريخ كندة باليمن ، والإشادة بماضي القحطانيين وانفرادهم بالملك دون خصومهم العدنانيين ، والى عدم تمكن كندة من العمل وحدها لولا مساعدة اليمانيين .

يستنتج من كل هذه الروايات أن (الحارث بن عمرو) الكندي اغتصب عرش الحيرة أمداً ، اغتصبه من (النعمان بن امرىء القيس بن الشقيقة) ، أو

---

١ الطبري (٢/٨٩ وما بعدها) .
٢ Musil, Middle Euphrates, P. 350.
٣ البلدان (٦/٤١٤) .

(المنذر الأكبر بن ماء السماء) أو (النعمان الأكبر أبو المنذر الأكبر ذو القرنين)، و (ذو القرنين) ، هو (ذو القرنين بن النعمان بن الشقيقة)[1] ، أو (النعمان ابن المنذر بن امرىء القيس بن الشقيقة)[2] ،وذلك في زمن (قباذ) ملك الفرس . ويقصد بـ (قباذ) هذا (قباذ) الأول الذي حكم ثلاثاً وأربعين سنة على ما جاء في الأخبار[3] . ويقدر العلماء ذلك من سنة (٤٨٨) حتى سنة (٥٣١) بعد الميلاد[4].

ولنتمكن من تعيين اسم الملك الذي قصده الرواة ، علينا الرجوع الى أسماء من حكم في أيام قباذ من ملوك الحيرة ، وذلك على نحو ما رواه لنا الأخباريون .

ان أول من حكم في عهد (قباذ) ، على ما يدعيه (حمزة) ، هو الملك (الأسود بن المنذر) ، وقد حكم في أيامه ست سنين . ثم المنذر بن المنذر ، وأمه (هر) ، وقد حكم سبع سنين . ثم النعمان بن الأسود ، وأمه ام الملك بنت عمرو بن حجر أخت (الحارث بن عمرو بن حجر الكندي) ، أربع سنين. ثم أبو يعفر بن علقمة الذميلي ، وقد حكم ثلاث سنين . ثم امرؤ القيس بن النعمان ابن امرىء القيس ، وقد حكم سبع سنين . ثم امرؤ القيس بن النعمان بن امرىء القيس ، وقد حكم سبع سنين . ثم المنذر بن امرىء القيس المعروف بالمنذر بن ماء السماء ، وهو ذو القرنين ، وقد حكم اثنتين وثلاثين سنة من ذلك ست سنين في زمن قباذ . ثم الحارث بن عمرو بن حجر الكندي ، ولم يذكر (حمزة) مدة حكمه ، انما قال : « ذكر هشام عن ابيه انه لم يجد الحارث فيمن أحصاه كتاب أهل الحيرة من ملوك العرب . ثم قال : وظني انهم انما تركوه لأنه توثب على الملك بغير اذن من ملوك الفرس ، ولأنه كان بمعزل عن الحيرة التي كانت دار المملكة ولم يعرف له مستقر وانما كان سيارة في أرض العرب »[5] . ولم يذكر حمزة مدة حكم (قباذ)[6] .

أما (الطبري) ، فجعل (النعمان بن المنذر بن امرىء القيس بن الشقيقة)

---

١ المفضليات (ص ٤٢٧) .
٢ Olinder, P. 58.
٣ الطبري (٢/٨٩) .
٤ Ency., IV, P. 178.
٥ حمزة (ص ٦٩ ــ ٧٢) .
٦ حمزة (ص ٣٩) .

الملك الذي كان قد حكم حينما تولى (قباذ) الحكم ، وجعل (الحارث بن عمرو ابن حجر) الذي قتل النعمان على روايته من بعده . وقد دام حكمه على ما يظهر من رواية الطبري حتى أيام (كسرى أنو شروان بن قباذ) . فلما قوي شأن (كسرى أنو شروان) ، بعث الى المنذر بن النعمان الأكبر ، وأمه ماء السماء ، فملكه الحيرة وما كان يلي آل الحارث بن عمرو بن حجر[1] .

أما (ابن الأثير) ، وهو عيال على الطبري وناقل منه ، فقد ذكر ما ذكره الطبري ، وأضاف اليه : أن المنذر بن ماء السماء لما بلغه هلاك قباذ ، وقد علم خلافه على أبيه في مذهبه ، أقبل الى (أنو شروان) فعرفه نفسه ، وأبلغه أنه سيعيده الى ملكه،وطلب (الحارث بن عمرو) ، وهو بالأنبار ، فخرج هارباً في صحابته وماله وولده ، فمر بـ (الثوية) ، فتبعه المنذر بالخيل من تغلب واياد وبهراء ، فلحق بأرض كلب ، ونجا ، وانتهبوا ماله وهجائنه ، وأخذت بنو تغلب ثمانية وأربعين نفساً من بني آكل المرار ، فقدموا بهم على المنذر ، فضرب رقابهم بـ (جفر الأميال)[2] (جفر الأملاك) في ديار بني مرينا العباديين بين دير بني هند والكوفة[3] .

ترى مما تقدم اختلاف الروايات وتباينها وتعددها ،حتى ان الراوية الواحد مثل (ابن الكلبي) يروي لنا جملة روايات ، قد يناقض بعضها بعضاً . لقد وجدنا منها ما زعمت ان قباذ طرد المنذر من مملكته،وأحل الحارث محله،ومنها ما زعمت ان المنذر استرضى الحارث بعد أن رأى عجزه وعجز صاحبه ، فحوّله اليه ، وزوّجه ابنته هند ، ومنها ما ذكرت ان الحارث قتل النعمان بن المنذر بن امرىء القيس بن الشقيقة ، وان المنذر بن النعمان الأكبر فرّ ونجا بنفسه ، وان الحارث ملك بالقوة ما كان يملكه ملوك الحيرة وان قباذ داراه واسترضاه لما وجد فيه من البأس . فماذا نستخلص من مجموع هذه الروايات ؟

كل ما يستخلص منها ان الحارث استبد بملك آل لخم ، في أيام قباذ،وكان مركز هذا الملك صعباً بسبب ضعفه ، وبسبب العقيدة التي قبلها ، وهي عقيدة تناقض ما كان عليه الناس . وقد حكم أمداً : يظهر انه امتد مدة حكم قباذ ، ثم

---

١ الطبري (٢/٨٩ وما بعدها) .
٢ ابن الاثير (١/١٧٥) .
٣ البلدان (٤/١٢٧ وما بعدها) .

تغيرت به الأحوال ، فعاد أصحاب البيت الى بيتهم ، وهرب هو الى من حيث جاء . ولا نعرف على وجه التحقيق متى ولي الحكم ، ولا متى غادره .

لقد ذكرت أسماء الملوك الذين حكموا في أيام (قباذ) على رواية حمـزة ، وهي رواية تكاد تتفق مع القائمة التي دوّنها الطبري في آخر كلامه عن (كسرى أنو شروان) نقلاً عن هشام بن الكلبي لأسمـاء ملوك الحيرة ومدد حكمهم ، وذلك قبل عهد (كسرى أنو شروان)[1] . فأي ملك من هؤلاء يمكن أن يكون هو الملك المقصود ؟

لقد ذكر (يوشع العمودي) (Joshua the Stylite) ان ملك الحيرة (النعمان) اشترك مع (قباذ) في المعارك التي وقعت بينه وبين الروم، فأصيب النعمان بجروح بليغة على مقربة من (قرقيسياء) (Circesium) قضت عليه ، وذلك في سنة (٥٠٣) للميلاد . ولقد انتهز عرب الروم المسمون بالثعلبيين (بني ثعلبة) هذه الفرصة ، فغزوا الحيرة ، واضطرت القوة التي تركها النعمان في عاصمته الى الفرار للبادية . أفلا يجوز أن يكون هؤلاء الغزاة هم أعراب (الحارث الكندي) ، انتهزوا هذه الفرصة فأغاروا على الحيرة واستولوا عليها ، فصارت في قبضة (الحارث) على نحو ما رواه بعض الأخباريين ؟ ثم ألا يجوز أن يكون بعض الرواة قـد سمعوا بمقتل (النعمان) ، فظنوا أن القاتل هو (الحارث) ، أو تعمدوا نسبة القتل اليه للرفع من شأن كندة ومن كان معها من قبائل[2] ؟

ولكن من يثبت لنا أن هؤلاء الأعراب الثعلبيين ، أي من (بني ثعلبة) ، وهم من عرب الروم على حدّ قول (يوشع العمودي) هم من أتباع الحارث، أو أنهم من (آل الحارث) أي من كندة ، وأن العائلة الكندية المذكورة كانت تعرف بـ (بني ثعلبة) . وليس في الذي بين أيدينا من موارد ، مورد واحد يذكر بأن (آل آكل المرار) هم من (بني ثعلبة) او انهم كانوا قد عرفوا بـ (بني ثعلبة) في يوم من الأيام ، او انهم كانوا قد خضعوا لسلطان الروم . لذلك ، لا أظن ان (يوشع العمودي) قصد بالثعلبيين عرب الروم ، كندة ،

---

١ الطبـري (٢/٩٤) .

٢ (قرقيسياء) ، البلدان (٧/٥٩) ،
Olinder, P. 59, Ency., II, P. 765, Musil, Euphrates, P. 334.

وانما قصد أعراباً من اعراب الروم ، كانوا يعرفون بـ (بني ثعلبة) أو (آل ثعلبة) ، وكانوا يتمتعون باستقلالهم تحت حماية الروم . ولما وجدوا فرصة ما حل بالنعمان من جروح في الحرب التي خاضها مع الفرس على الروم ، هاجموا الحيرة فانتهبوها ، وكانت حاميتها ضعيفة ففرت الى البادية ، ولم يذكر المؤرخ مدة مكوث هؤلاء الأعراب في الحيرة ، والظاهر انها لم تكن سوى مدة قصيرة ، وانها كانت من نوع غارات الأعراب على المدن : غزو خاطف ، يعقبه انسحاب عاجل لتأمين سلامة ما ينهبونه وايصاله الى ديارهم حتى لا تتمكن القوات التي ستأتي لمعاقبتهم من أخذ ما حصلوا عليه من غنائم وأموال .

ويظهر أن حكم كندة للحيرة لم يكن طويلاً ، ويظن أنه كان بين سنة (٥٢٥) وسنة (٥٢٨) للميلاد ، وذلك في أثناء ظهور فتنة المزدكية في إيران[١] . وليس بمستبعد أن يكون الحارث قد اتصل بالفرس قبل هذا الزمن ، في أثناء صلح سنة (٥٠٦) للميلاد ، او على اثر الفتور الذي طرأ على علاقاته بالبيزنطيين ، لأنه وجد ان الاتفاق مع الفرس يعود عليه بفوائد ومنافع لا يمكن أن يغتنمها من الروم ، ووجد بكراً وتغلب قد زحفتا اذ ذاك من مواطنها القديمة في اليمامة ونجد نحو الشمال تريدان النزول في العراق . وقد أقره الفرس على المناطق الصغيرة أو الواسعة التي استولى عليها لقاء جعل[٢] .

لم يكن من مصلحة ملك الحيرة ، بالطبع ، الرضى بنزول منافس قوي أو منافسين أقوياء في أرضه أو في أرض مجاورة له . فلما ظهر الحارث في العراق ، وعرف ملك الحيرة نياته وتقربه الى الفرس ، وملك الحيرة ، هو باعتراف الفرس (ملك عرب العراق) ، لم يكن من المعقول سكوته انتظاراً للنتائج . ومن هنا وقع الاختلاف[٣] .

لم تكن العلاقات حسنة بين قباذ والمنذر ملك الحيرة ، لسبب غير واضح لدينا وضوحاً تاماً ، قد يكون بسبب المزدكية ، وقد يكون بسبب تقرب الحارث الى الفرس واقطاعهم اياه أرضاً وتوددهه الزائد الى قباذ ، وقد يكون لأسباب أخرى

---

١ Olinder, P. 65.

٢ O. Blau, Arabien in Sechsten Jahrhundert, in ZDMG., Bd., 23, (1869), S. 579.

٣ حمزة (ص ٦٥) ، Olinder, P. 65.

مثل تردد ملك الفرس وضعفه ، فلم تكن له خطة ثابتة مما أثر في وضع (ملك عرب العراق) . على كل حال ، فقد أدى هذا الفتور الى استفادة الحارث منه واستغلاله ، فتقرب الى الفرس وتودد اليهم حتى آل الأمر بأن يأخذ ملك الحيرة أمداً حتى تغيرت الأحوال في فارس بموت (قباذ) وتولى (كسرى أنو شروان) الملك من بعده ، فعاد المنذر عندئذ الى عرش الحيرة وأبعد الحارث عن ملكه .

وآراء الأخباريين متباينة كذلك في المكان الذي اختاره الحارث للاقامة فيه بعد اغتصابه ملك (آل لخم) ، فبينما يفهم من بعض الروايات انه استقر في الحيرة وأقام فيها ، نرى بعضاً آخر يرى انه أقام في الأنبار[1] . وبينما يذكر (حمزة) ان الحارث حينما بلغه خبر قدوم المنذر عليه واقترابه من الحيرة ، هرب فتبعته خيل المنذر ، مما يفهم انه كان في الحيرة ، نجده يقول في موضع آخر : « ان الحارث كان بمعزل عن الحيرة التي كانت دار المملكة ، ولم يعرف له مستقر ، انما كان سيارة في أرض العرب »[2] . ونجد صاحب الأغاني يذكر في موضع انه كان في الأنبار ، ويشير في موضع آخر انه كان في الحيرة[3] .

وتتفق روايات الأخباريين على ان مجيء (كسرى أنو شروان) كان شراً على الحارث، وخيراً لآل لخم ، فقد كانت سياسة (أنو شروان) مناقضة لسياسة قباذ بسبب المزدكية . وقد ظهر اختلافهما هذا في السنين الأخيرة من سني حكم قباذ[4] . وقد أدى هـذا الاختلاف الى محاربة المزدكية وسقوطها . ويحدثنا (مـلالا) (John Malalas) ان سقوطها كان بعد وفاة (الحارث) وقبل غارة المنذر على بلاد الشأم[5] . وقد قام المنذر بها في شهر آذار من سنة (٥٢٨) للميلاد على رواية (ثيوفانس) (Theophanes)[6] . وكانت وفاة الحارث في أوائل سنة (٥٢٨) للميلاد[7] . ومن رواية هذين الكاتبين يتبين ان الحارث كان قد قضى نحبه قبـل

---

١ اليعقوبي (١/١٧٧) ، ابن الاثير (١/٢٠٩) ، الاغاني (٨/٦٢) (طبعـة الساسي) .

٢ حمـزة (ص ٧٢ ، ٩٣) ، Rothstein, Die Dynastie der Lakhmiden, S. 88.

٣ الاغانـي (٨/٦٢) .

٤ Nöldeke, Die Sasaniden, S. 462, Christensen, Le Regne du Roi Kawadh I, et le Communisme Mazdaqite, PP. 124, Olinder, P. 65.

٥ John Malalas, Chronographia, Lib., XVIII, Col. 653, Olinder, P. 65.

٦ Olinder, P. 54, 65.

٧ Olinder, P. 54.

القضاء على المزدكية بمدة غير طويلة ، وان المنذر كان في آذار سنة (٥٢٨) للميلاد قد قام بغارته على بلاد الشأم[١] .

ويستدل من اشـــارة (ملالا) و (ثيوفانس) الى موت الحارث في سنة (٥٢٨ م) ومن تلقيبه بلقب (فيلارخس) أي عامل ، على ان علاقات الحارث بالروم في أواخر أيام حياته كانت حسنة . ومعنى هذا ان خلافاً او فتوراً كان قد وقع فيما بينه وبين الفرس ، دفعه عـــلى التقرب نحو خصوم الساسانيين وهم الروم ، فاتصل بهم وذلك في أيام (قباذ) ، او في ايام (كسرى انو شروان)[٢].

ويظهر ان تودد (الحارث) الى البيزنطيين لم يأت له بنتيجة او بفائدة تذكر. اذ يحدثنا الكاتبان (ملالا) و (ثيوفانس) ان قائد فلسطين الرومي (ديوميدس) (Diomedos) أجبر سيد قبيلة يدعى (اريتاس) (Aritas) ، اي (الحارث) على التراجع في اتجاه الهند (Indica) ، ويقصد بذلك جهة الجنوب او الشرق، حيث كان يطلق البيزنطيون على العربية الجنوبية (الهند) . فلما سمع بذلك (الموندارس) (Alamoundaros) أي (المنذر) رئيس العرب (السرسيني) (Saracens) الخاضعين لنفوذ الفرس،هجم على الحارث فقتله،وغنم امواله وما ملكه،وأسر اهله. فلما بلغ النبأ للقيصر (يوسطنيانوس) (Justinianus) ، أمر حكام (فينيقية) (Phenicia) و (العربية) (Arabia) والجزيرة وعامل الحدود بتعقب المنـــذر ومهاجمته . وقد اشترك في هذه الحملة عدد من القادة والحكام،وفي جملتهم سيد قبيلة اسمه (اريتاس) (Aritas) ، أي (الحارث) ، وهو الحارث بن جبلة الغساني على ما يظهر[٣] .

ولم يتعرض الأخباريون للخبر الذي ذكره الكاتبان عن كيفية قتل (الحارث) ولا عن الأمر الذي أصدره القيصر بتعقيب (المنذر) ، والظاهر انهم لم يقفوا عليه[٤].

غير ان للأخباريين رواياتهم الخاصة عن مصير صاحبنا (الحارث) الكندي . حدث صاحب (الأغاني) ان (أنو شروان) حينما ملك ، أمر بقتل الزنادقة ،

---

١ Olinder, P. 65.

٢ Olinder, P. 66.

٣ Olinder, P. 53, Nöldeke, Sasaniden, S. 171.

٤ Olinder, P. 66.

أي أتباع مزدك ، « فقتل منهم ما بين جازر[1] الى النهروان الى المدائن في ضحوة واحدة مئة ألف زنديق وصلبهم »[2] ، وأعاد المنذر الى مكانه ، وطلب « الحارث ابن عمرو ، فبلغه ذلك وهو بالأنبار وكان بها منزله ... فخرج هارباً في هجائنه وماله وولده ، فمرّ بالثوية[3] ، وتبعه المنذر بالخيل من تغلب وبهراء وإياد، فلحق بأرض كليب ، فنجا وانتهبوا ماله وهجائنه ، وأخذت بنو تغلب ثمانية وأربعين نفساً من بني آكل المرار ، فقدمت بهم على المنذر ، فضرب رقابهم بـ (جفر الأملاك) (حفر الأملاك) في ديار بني مرينا العبادين بين دير هند والكوفة ..»[4] . وأضاف (ابن الأثير) الى هذا الخبر ان (تغلب) قبضت على ولدين من أولاد الحارث هما : (عمرو) و (مالك) في جملة الثمانية والأربعين ، فجاءت بهما الى المنذر في (ديار بني مرينا) فقتلهم[5] .

ويحدثنا (ابن قتيبة) أن (المنذر) لما اقبل « من الحيرة هرب الحارث ، وتبعته خيل فقتلت ابنه عمراً ، وقتلوا ابنه مالكاً بهيت ، وصار الحارث بمسحلان فقتلته كلب » . وزعم غير ابن قتيبة انه مكث فيهم حتى مات حتف انفه[6] . وذكر (حمزة) الروايات المدوّنة في كتاب (الأغاني) بحذف بعض كلماتها[7] .

ولم يشر اليعقوبي الى من قتل (الحارث) من ملوك الحيرة ، بل أوجز فقال : « ... وكانوا يجاورون ملوك الحيرة ، فقتلوا الحارث . وقام ولده بما كان في أيديهم ، وصبروا على قتال المنذر حتى كافؤوه[8] . ويشعر على كل حال

---

١ (جازر) قرية من نواحي النهروان من اعمال بغداد قرب المدائن ، وهي قصبة طسوج الجازر ، البلدان (٣/٣٦) ، الاغاني (٩/٨٠) (طبعة دار الكتب المصرية) ، (١٩٣٦) ، الاغاني (٨/٦٢) (طبعة مطبعة التقدم) ، وفيها أغلاط عديدة .

٢ الاغاني (٨/٦٢) ، (مطبعة التقدم) ، (٩/٨٠) (طبعة دار الكتب المصرية) .

٣ الثوية : موضع قريب من الكوفة ، وقيل خربة الى جانب الحيرة على ساعة منها . وقيل انه كان سجنا للنعمان بن المنذر كان يحبس به من أراد قتله ، البلدان (٣/٢٨) .

٤ الاغاني (٨/٦٢) ، (٩/٨٠) (طبعة دار الكتب المصرية) .

٥ ابن الاثير (١/٢٠٩) ، (جفر الاملاك) ، البلدان (٣/١١٥) ، ابن الاثير (١/٣٠٤ وما بعدها) (الطباعة المنيرية) .

٦ الاغاني (٨/٦٢) ، Musil, Middle Euphrates, P. 350.

٧ حمزة (ص ٩٣) ، (مسحلان) ، البلدان (٨/٥١) .

٨ اليعقوبي (١/١٧٨) .

من جملة « وصبروا على قتال المنذر » ومن روايات الأخباريين الأخرى أن القتل كان في ايام المنذر .

وفي رواية أخرى أن الحارث بقي في كلب حتى توفي فيما بينهم حتف أنفه[1]. وقد أضافت الرواية التي تنسب الى (أبي عبيدة) الى هذا الخبر انه دفن بـ (بطن عاقل)[2] . والظاهر ان اضافة (بطن عاقل) إنما وقعت سهواً واشتباهاً، من باب عدم التمييز فيما بين (حجر) الذي زعم انه دفن بـ (بطن عاقل) وبين (الحارث)[3] .

وجاء في رواية أن الحارث خرج يتصيّد ، فرأى جماعة من حمر الوحش فشدّ عليها ، وانفرد منها حمار فتتبعه ، وأقسم ألا يأكل شيئاً قبل كبده ، فطلبته الخيل ثلاثة أيام حتى أدركته ، وأتي به ، وقد كاد يموت من الجوع ، ثم شوي على النار واطعم من كبده وهي حارة ؛ فمات[4] .

ولا تخلو هذه الروايات المتعلقة بموت (الحارث) ونهايته من مؤثرات العواطف القبلية التي صبغت كل الأخبار التي يرويها الأخباريون بهذه الصبغة . فكلب تدعي انها هي التي قتلته ، وكندة تنكر ذلك مدعية انه مات كما يموت سائر الناس ، وأهل الحيرة يقولون انهم هم الذين قتلوه،قتلوه في حرب . وأبو الفرج الأصبهاني يقول : « فكلب يزعمون انهم قتلوه ، وعلماء كندة تزعم انه خرج الى الصيد فالظ بتيس من الظباء ، فأعجزه فآلى أن لا يأكل أولاً إلا من كبده ، فطلبته الخيل ثلاثاً ، فأتى بعد ثالثة ، وقد هلك جوعاً ، فشوى له بطنه فتناول فلذة من كبده ، فأكلها حارة فمات »[5] .

ولورود خبر مقتل (الحارث) مسجلاً تسجيلاً دقيقاً لدى الكاتبين المذكورين: (ملالا) و (ثيوفانس) ، ومطابقته لرواية أهل الحيرة في النتيجة ، وهو ان مقتله كان على أيدي (المنذر) وجماعته نرجح هذه الرواية على غيرها من الروايات.

---

١ (وزعم ابن قتيبة أنه مكث فيهم حتى مات حتف انفه) ، الاغاني (٦٢/٨) ، أبو الفداء (٧٤/١) .

٢ العقد الفريد (٧٧/٣) ، نهاية الارب (٤٠٦/١٥) ، العقد الفريد (٧٨/٦ وما بعدها) (طبعة محمد سعيد العريان) ، Olinder, P. 68.

٣ Olinder, P. 68.

٤ أيام العرب (٤٦) .

٥ الاغاني (٦٢/٨) ، ابن الاثير (٢١٠/١) .

ويظهر من غربلة الروايات التي رواها أهل الأخبار عن نهاية (الحارث) انها قد اختلفت فيما بينها وتضاربت في موضوع نهايته ، فزعم بعض منها ، انه قتل وان قاتله هو (المنذر بن ماء السماء) ، وزعم بعض آخر انه قتل ، ولكنه لم يصرح باسم قاتله ، وزعم بعض آخر انه هلك ، وانه لم يقتل ، وانما مات حتف أنفه[1] . والذي أرجحه انه قتل ، قتل في أثناء المعارك التي وقعت من جراء تعقب المنذر بن ماء السماء له .

ولا نكاد نعرف شيئاً يذكر عن أعمال الحارث في أثناء توليه ملوكية قبائل (معد) غير ما ذكره الرواة من انه وزّع أولاده عليها ، وجعلهم ملوكاً على تلك القبائل . كذلك لا نكاد نعرف شيئاً يذكر عن أعماله وهو ملك على الحيرة، فأصحابنا الأخباريون سكوت عن هذه الأمور . ويفهم من كلام بعض الأخباريين عن (الحارث) انه حينما نزل ببكر بن وائل ، أقام بـ (بطن عاقل) ، ومنه غزا بهم ملوك الحيرة اللخميين ، وملوك الشأم الغسانيين ، وفيه كانت نهايته[2] .

ويفهم من بيت في ديوان (امرىء القيس) ان ملك الحارث قد امتد من العراق الى عمان . ولا تعني أمثال هذه الأقوال امتلاكاً فعلياً ، بل كانت تتحدث في الواقع عن اتفاقات تعقد بين القبائل يعترف فيها بالرئاسة لمن له النفوذ الأكبر والمكانة ، فإذا حدث حادث للرئيس الذي تمكن بمكانته ومنزلته من ضم هذه القبائل وتوحيدها ، انهدّ كيان ذلك الاتحاد وتشتت شمله ، كالذي حدث بعد وفاة الحارث كما سنرى فيما بعد . وقد لا تعني هذه الأقوال سوى المبالغات والفخر ، على نحو ما يرد في شعر غيره من الشعراء من امتلاكهم الدنيا ومن عليها ، ومن تدويخهم القبائل والناس ، وليس في الواقع أي شيء مما جاء في دعوى أولئك الشعراء المفتخرين .

ويحدثنا (ابن الكلبي) انه كان للحارث زوجات ثلاث ، هن : أم قطام بنت سلمة بن مالك بن الحارث بن معاوية ، وأسماء ، ورقية أمة أسماء . وقد زعم ابن الكلبي ان أم قطام وأسماء كانتا شقيقتين ، وأما رقية ، فكانت أمة لأسماء . وقيل أيضاً : « هن أخوات ، فجمعهن جميعاً »[3] . وزوّجه بعض

---

١ البداية والنهاية ، لابن كثير (٢٠٨/٢) .
٢ نهاية الارب ٤٠٦/١٥) ، العقد الفريد (٧٨/٦) (طبعة العريان) .
٣ المفضليات (ص ٤٢٩ ، ٤٣٢) .

الأخباريين بامرأة أخرى هي : (أم أناس) بنت (عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان) ، وهي والدة (عمرو بن الحارث) المعروف عندهم بـ (ابن أم أناس) (ابن ام اياس)[1] . وفي رواية (ابن السكيت) ان (أم قطام بنت سلمى) هي امرأة من (عنزة)[2] .

وقد دوّن لنا الرواة أسماء جملة أولاد من أبناء (الحارث) ، ذكروا منهم حجر وشرحبيل ومعديكرب وعبدالله وسلمة، ومحرق ومالك وعمر[3] . وأم (حجر) هي : (أم قطام)[4] .

ويذكر أهل الأخبار انه كان للحارث ابن ، حجّ ففقده ، فاتّهم به رجل من بني أسد يقال له حبال بن نصر بن غاضرة . فأخبر بذلك الحارث ، فأقبل حتى ورد تهامة أيام الحج ، وبنو أسد بها . فطلبهم ، فهربوا منه . فأمر منادياً فنادى من آوى أسدياً فدمه جبار . ثم إن الملك عفا عنهم وأعطى كل واحد منهم عصا أماناً له . وبنو أسد يومئذ قليل . فأقبلوا الى تهامة ومع كل رجل منهم عصا . فلم يزالوا بتهامة حتى هلك الحارث ، فأخرجتهم بنو كنانة ، وسموا عبيد العصا ، بالعصا التي أخذوها[5] .

ويذكر أهل الأخبار انه كانت للحارث بن عمرو بنت اسمها هند ، وقد تزوجها المنذر بن ماء السماء ، وهي والدة الملك (عمرو بن هند) وشقيقة (قابوس) وعمة الشاعر امرىء القيس[6] .

وهم يذكرون أن ملك الحارث لما توسع واشتغل هو بالحيرة عما كان يراعيه من أمور البوادي ، تفاسدت القبائل وفشا بينها الشرّ ، فجاء أشرافها فشكوا ما حل بهم من غلبة السفهاء ، وطلبوا اليه أن يملّك عليهم أبناءه ، فملّك ابنه حجراً على بني أسد وغطفان ، وملك ابنه شرحبيل على بكر بن وائل بأجمعها وعلى

---

١ ابن الاثير (١/٢٠٧) .
٢ الاغاني (٨/٦١) .
٣ الاغاني (٨/٦٢ وما بعدها) ، المفضليات (ص ٤٣٢) ، ابن الاثير (١/٢٠٩)،
٤ شرح القصائد العشر ، للزوزني (ص ٧) .
٥ ديوان بشر بن أبي خازم الاسدي (ص ١١٥ وما بعدها) ، مجمع الامثال ، للميداني (٢/١٩ وما بعدها) .
٦ الشعر والشعراء (١/٥٠ وما بعدها) ، (ص ٤٣) ، (طبعة ليدن) .

بني حنظلـــة بن مالك بن زيد مناة وطوائف من بني درام بني تميم والرباب ، وملك ابنه معديكرب على بني تغلب والنمر بن قاسط وسعد بن زيد مناة وطوائف من بني دارم بن حنظلـــة والصنائع ، وهم بنو رقية : قوم كانوا يكونون مع الملوك من شذاذ العرب ، ومَلَّكَ ابنه عبد الله على عبد القيس ، وملَّك ابنـــه سلمه على قيس عيلان[1] . وقيل إن شرحبيل بن الحارث ملك في بكر بن وائـــل وحنظلة بن مالك وبني زيد بن تميم وبني أسيد وطوائف من بـــني عمرو بن تميم والرباب ، ومعديكرب في قيس والصنائع ، وهم بنـــو رقية ، وسلمة في بني تغلب والنمر بن قاسط وسعد بن زيد مناة[2] .

وقد اكتفى (حمزة) بقوله : « وانتشر ولده ، فملكهم على بكر وتميم وقيس وتغلب وأسد »[3] . وهنالك روايات أخرى تختلف في التفاصيل وفي الأمور الثانوية عن هذه الروايات التي ذكرتها بعض الاختلاف[4] ، سأشير اليها في أثنـاء البحث عن هؤلاء الأولاد .

وذكر (ياقوت الحموي) رواية رجعها الى (أبـي زياد الكلابـي) ،خلاصتها أن (مضر) و (ربيعة) اجتمعت على أن يجعلوا منهم ملكـاً يقضي بينهم ، فكل أراد أن يكون منهم ، ثم تراضوا أن يكون من (ربيعة) ملك ومن (مضر) ملك،ثم أراد كل بطن من ربيعة ومن مضر أن يكون الملك منهم،ثم اتفقوا على أن يتخذوا ملكاً من اليمن . فطلبوا ذلك الى (بني آكل المرار) من كندة ، فملكت بنو عامر شراحيل بن الحارث الملك بن عمرو المقصور بن حجر آكـــل المرار ، وملكت بنو تميم وضبة محرق بن الحارث ، وملكت وائل شراحيل بن الحارث . وتختلف هذه الرواية كما ترى بعض الاختلاف عن رواية لـ (ابن الكلبي) ذكرها (ياقوت) أيضاً ، هي ان سلمة بن الحارث ملك (بني تغلب) و (بكر بن وائل) ، وأما (غلفاء) وهو (معديكرب) (معدي كرب) ، فقد ملك بقية (قيس) ،

---

١ الاغاني (٦٢/٨ وما بعدها) ، (٨٢/٩) (طبعة دار الكتب المصرية) ، البلدان (٤٧٢/٤) (كلاب) ، نقائض جرير والفرزدق (٤٥٢/١) (تحقيق بيفـان) (ليدن ١٩٠٧) .

٢ المفضليات (ص ٤٢٨) ، Ency., II, P. 1018.

٣ حمـــزة (ص ٩٢) .

٤ خزانة الادب (٥٠٠/٢) .

وأما (أسد) و (كنانة) ، فقد ملكت عليها (حجر بن الحارث) ، أي والد امرىء القيس[1] .

أما (حجر) ، فهو أكثر هؤلاء الأولاد ذكراً عند الأخباريين . وهو والد الشاعر الجاهلي المعروف (امرىء القيس) . وقد يعود الفضل الى هذا الشاعر في ذيوع شهرة والده وانتشار خبره ، وحفظ أخبار هذه الأسرة من كندة . وهو أكبر أولاد الحارث ، واليه انتقلت عامة كندة بعد وفاة والده[2] . وهو ابن (أم قطام بنت سلمة بن مالك بن الحارث بن معاوية) من كندة[3] .

ملك (الحارث) ابنه (حجراً) كما ذكرت الأخبار على أسد وكنانة وهما قبيلتان من قبائل مضر . وتقع مواطن (أسد) الرئيسية في القرن السادس للميلاد في جنوب جبلي طيء (أجأ) و (سلمى) ، ويسميان جبل شمر في الزمن الحاضر على جانبي بطن الرمة (وادي الرمة) ، غير ان بطونها متفرعة منتشرة في مناطق واسعة تمتد من المدينة الى نهر الفرات[4] . ولكنها لم تكن سيدة هذه الأرضين ، بل كانت تعيش مع غيرها من القبائل متفرقة[5] . ويظن انها (استينوى) (Asatynoi) الساكنة في أرض تسمى بهذا الاسم في (جغرافيا) بطلميوس[6] . وتعد هذه القبيلة في عرف النسابين من نسل (أسد بن خزيمة بن مدركة بن مضر)، وهي شقيقة (الهون) و (كنانة)[7] .

وروى المؤرخ (ثيوفانس) أن (رومانس) (Romanus) حاكم فلسطين في أيام (أنسطاسيوس) (Anastasius) ، هزم في سنة (٤٩٠) للميلاد سيدي قبيلتين ، هما : (جبلس) (Gabalas) (Jabalas) و (اوكاروس) (Ogaros) ابن (ارتاس) (Aretas) ، أي الحارث من (آل ثعلبة) (Thalabanys)، ويظن أن (Gabalas) هو(جبلة) ، والد الحارث بن جبلة

---

١ البلدان (٣/٤٢٩) .
٢ Olinder, P. 76.
٣ المفضليات (ص ٤٢٩) .
٤ O. Blau, Arabien Im Sechsten Jahrhundert, In ZDMG., BD., 23, S. 579, Olinder, P. 74.
٥ Olinder, P. 74, Ency., I, P. 474.
٦ Ency., I, P. 474.
٧ Pauly-Wissowa, Ogaros, Olinder, P. 51, Ency., II, P. 1019.

الغساني . وأما (Ogaros) ، فيرى بعض المستشرقين أنه (حجر بن الحارث ابن عمرو الكندي) . وقد وقع أسيراً في قبضة (رومانوس) . ويرى (أولیندر) أن في تقدير هذا المؤرخ بعض الخطأ وأن التاريخ الصحيح هو سنة (٤٩٧) للميلاد[١]. ثم أشار هذا المؤرخ الى تحرش آخر قام به بعد أربع سنوات سيد قبيلة اسمه (Madikaripos) (Madicaripos) كان شقيقاً لـ (Ogaros) . أوغل في الغزو وأوقع الرعب في جند الروم . وقد قصد (ثيوفانس) بـ (Madikaripos) (معديكرب بن الحارث) شقيق حجر .

وكان من نتائج هذه الغارات كما يقول هذا المؤرخ أن عقد القيصر (أنسطاسيوس) صلحاً مع (Aretas) أي الحارث ، والد الأخوين المذكورين ، فخيم الأمن بذلك على فلسطين والعربية وفينيقية[٢] . وقد أشار الى هذا الصلح المؤرخ (نونوسوس) (Nonnosus) ، حيث ذكر ان القيصر (أنسطاسيوس) أرسل جدّه الى (Aretas) لمفاوضته في عقد صلح . ويظهر من قول هذا المؤرخ أن هاتين الغزوتين كانتا في حياة (Aretas) .

ولم يشر الأخباريون الى هذه الغزوات التي قام بها (حجر) و (معديكرب) على حدود سورية وفلسطين في عهد (أنسطاسيوس) كما روى ذلك هذا المؤرخ[٣] .

وورد أن حجراً أغار على اللخميين في أيام امرىء القيس والد المنذر بن ماء السماء . ويظن (نولدكه) أن هذه الحملة التي لا نعرف من أمرها شيئاً انما وقعت بعد وفاة الحارث ، وقد قصد (حجر) منها استرجاع ما خسره أبوه ، واعادة نفوذ كندة الى ما كان عليه[٤] .

لقد كانت نهاية (حجر) بأيدي (بني أسد) ، ويظهر انهم قبلوه ملكاً عليهم مكرهين . فلما حانت الفرصة قاموا عليه وقتلوه . حدّث (ابن الكلبي) انه كان لحجر على بني أسد اتاوة في كل سنة مؤقتة . فلما كان بتهامة ، أرسل جابيه الذي كان يجيبهم ، فمنعوه ذلك ، وضربوا رسله وضرجوهم ضرجاً شديداً قبيحاً ، فبلغ ذلك حجراً ، فسار اليهم بجند من ربيعة وجند من جند أخيه من

---

١ Pauly-Wissowa, Ogaros, Olinder, P. 51, Ency., II, P. 1019.
٢ Olinder, P. 51, 74.
٣ Olinder, P. 75.
٤ Olinder, P. 76, Nöldeke, Fünf Mo'Allaqat, I, S. 80.

قيس وكنانة ، فأتاهم وأخذ سراتهم ، فضربهم بالعصا وأباح الأموال وصيّرهم الى تهامة ، وحبس سيدهم (عمرو بن مسعود بن كندة بن فزارة الأسدي) ، والشاعر (عبيد بن الأبرص) ، فأثر ذلك في نفوس « بني أسد وأضمروا له الانتقام »[1] . ثم إن حجراً وفد على أبيه الحارث في مرضه الذي مات فيه ، وأقام عنده حتى هلك ، ثم أقبل راجعاً الى بني أسد ، فلما دنا منهم،وقد بلغهم موت أبيه ، طمعوا فيه ، فلما أظلهم وضربت قبابه ، اجتمعت بنو أسد الى (نوفل بن ربيعة) ، فهجم على (حجر) ومن معه ، فانهزم جيشه وأسر (حجر) وتشاور القوم في قتله ، فقال لهم كاهنهم : لا تعجلوا بقتله حتى أزجر لكم ، فلما رأى ذلك (علباء) خشي أن يتواكلوا في قتله ، فحرّض غلاماً من بني كاهل على قتله ، وكان حجر قد قتل أباه ، فدخل الخيمة التي احتبس حجر بها فطعنه طعنة أصابت مقتلاً[2] .

ويزعم أهل الأخبار ان (بني أسد) الذين عصوا حجراً عرفوا منذ ضربهم حجر بالعصا بـ (عبيد العصا) ، وقد أشير الى هذه التسمية في الشعر ، ويذكرون أيضاً ان (عبيد بن الأبرص) ، وقف أمام الملك حجر ، فقال شعراً يستعطفه فيه على قومه ، فرق لهم ورحمهم وعفا عنهم ، وأرسل من يردهم الى بلادهم ، فلما صاروا على مسيرة يوم من تهامة تكهن كاهنهم وهو (عوف بن ربيعة بن عامر الأسدي) ، بأنهم سيقتلون حجراً وسينتقمون منه ومن أهله ، فصدقوا بنبوءته وعادوا الى موضع حجر فوجدوه نائماً ، فذبحوه ، وشدوا على هجائنه فاستاقوها . وفي رواية أخرى ، انهم هجموا على عسكر حجر ودخلوا قبته ، فطعنه علباء بن الحرث الكاهلي ، فلما قتل ، استصلحت أسدٌ كنانة وقيساً ، ونهبوا ما كان في عسكر حجر وسلبوه ، وأجار (عمرو بن مسعود) عيال حجر . وقيل أجارهم غيره ، وبذلك تخلصت بنو أسد من حكم كندة[3] .

---

١ الاغاني (٢/٦٣) ، ابن خلدون (٢/٢٧٤ وما بعدها) ، ابن الاثير (١/٢١٠)، الاغاني (٩/٨١) (طبعة دار الثقافة ، بيروت ١٩٥٧) ، ابن الاثير (١/٣٠٤)، (الطباعة المنيرية ١٣٤٨ هـ) ، البداية والنهاية ، لابن كثير (٢/٢١٨) (القاهرة ١٩٣٢) .

٢ أيام العرب (١١٤ وما بعدها) .

٣ ابن قتيبة ، الشعر والشعراء (١/٥٠ وما بعدها) ، (دار الثقافة بيروت ، ١٩٦٤) ، الاغاني (٨/٦) (التقدم) ، البلدان (٤/١٢٧ وما بعدها) ، خزانة الادب (١/١٥٩ وما بعدها) .

وهنـــاك روايات أخرى يرجع سندها الى (ابن الكلبي) والى غـــيره مثل (أبو عمرو الشيباني) و (الهيثم بن عدي) و (يعقوب بن السكيت) وغيرهم تختلف فيما بينها بعض الاختلاف في كيفيـــة قتل (حجر) . وقد زعمت بعض الروايات بأن (علباء بن الحرث الكاهلي) هو الذي قتله ، طعنه ، فقضت طعنته هذه عليه ، وكان (حجر) قد قتل أباه . وزعمت رواية أخرى أن الذي قتله هو ابن أخت (علباء) ، وكان حجر قد قتل أباه ، ضربه بحديدة كانت معه سببت وفاته[1] .

وتذكر رواية أن (حجراً) لمـــا علم انه ميت أوصى ودفع كتابه الى رجل أمره ان ينطلق الى اكبر أولاده (نافع) ، فإن بكى وجزع ، فليذهب الى غيره حتى يصل الى أصغرهم وهو امرؤ القيس ، فأيهم لم يجزع يدفع اليـــه الكتاب . فكان ذلك الولد امرؤ القيس[2] .

ونجد في شعر (بشر بن أبـي خازم الأسدي) فخراً واعتزازاً بقتل أسد لحجر والد امرىء القيس . وقد دعاه بـ (ابن ام قطام) في احدى قصائده ، وقـال ان قومه علوه بالسيوف البيض الذكور . وأم قطام هي بنت سلمـة بن مالك بن الحارث بن معاوية[3] . ودعاه بـ (حجر) في قصيدة أخرى ، وافتخر بأن قومه ضربوا رأس حجر بأسياف مهنـدة رقاق[4] . وذكر في قصيدة أخرى أن قومـــه ضربوا خيل حجر بجنب الرده . والرّده موضع في ديار قيس ، والظـــاهر أنهم قتلوا حجراً بجنب الرده[5] .

وأما (شرحبيل) ، فقد ملكه ابوه على (بكر بن وائل) و (حنظلة بن مالك) و (بني أسيد) و (الرباب) ، أي على عدد من قبائل ربيعة ومضر، وكان نصيبه القسم الشرقي من مملكة كندة ما عدا البحرين[6] . وليس بـــين الذي

---

١ الكامل ، لابن الاثير (٣٠١/١ وما بعدها) ، الاغاني (٦٤/٨ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢٧٦/٢) ، ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب (تحقيق عبد السـلام هارون) (دار المعارف بمصر ١٩٦٢) ، (ص ٤٢٧) .

٢ أيام العرب (١١٥) .

٣ ديوان بشر بن أبي خازم ، تحقيق الدكتور عزة حسن (ص ٩١) .

٤ ديوان بشر (ص ١٦٦) .

٥ ديوان بشر (ص ٢٢) .

٦ Olinder, p. 82.

يروي الأخباريون عنه شيء ذو بال ، إلا ما ذكروه عن كيفية مقتله ونهايته ، وهذا ملخصه :

لما هلك الحارث بن عمرو تشتت امر اولاده ، وتفرقت كلمتهم،ومشت الرجال بينهم ، وتفاقم أمرهم حتى جمع كل واحد منهم لصاحبه الجموع وزحف اليه بالجيوش . وقد بلغت العداوة أشدها بين (شرحبيل) وسلمة ، بسبب المنذر الذي عاد الى الحيرة وأخذ يشعل نار الفتنة بين الأخوين . فسار شرحبيل ببكر ابن وائل ومن معه من قبائل حنظلة ومن أسيد بن عمرو بن تميم وطوائف من بني عمرو بن تميم والرباب ، فنزلت (الكلاب) ، وهو ماء بين الكوفة والبصرة على بضع عشرة ليلة من اليمامة ، وأقبل (سلمة) في بني تغلب وبهراء والنمر وأحلافها وسعد بن زيد مناة بن تميم ومن كان معهم من قبائل حنظلة وفي الصنائع يريدون الكلاب . وكان نصحاء شرحبيل وسلمة نهوهما عن الفساد والتحاسد ، وحذروهما الحرب وعثراتها وسوء مغبتها ، فلم يقبلا ، ولم يتزحزحا ، وأبيا إلاّ التتابع . فلما تلاقى الجمعان ، اقتتلا قتالاً شديداً ، ثم خذلت بنو حنظلة وعمرو ابن تميم والرباب بكر بن وائل ، وانصرفت وثبتت بكر بن وائل ، وانصرفت بنو سعد وألفافها عن بني تغلب ، وصبرت تغلب ، وساء أمر شرحبيل ، فجاء اليه من عرف موضعه وقتله[1] .

ويذكر أهل الأخبار ان العداوة كانت شديدة بين الأخوين ، حتى ان كل واحد منهما وضع جائزة لمن يأتي برأس أخيه ، فذهب (أبو حنش) وهو عصم ابن النعمان بن مالك (عصيم بن مالك الجشمي) ، فطعن (شرحبيل) ، واحتز رأسه وجاء به الى أخيه ، فطرحه أمامه . ويقال إن شرحبيل لما رأى (أبا حنش) يريد توجيه طعنة اليه قال له : يا أبا حنش اللبن اللبن ، فقال أبو حنش : قد هرقت لنا لبناً كثيراً . فقال : يا أبا حنش أملك بسوقة[2] . وذلك ان دم الملوك

---

١ المفضليات (ص ٤٢٨ وما بعدها ، ١٠٧٢ وما بعدها) ، النويري ، نهاية الارب (١٥/٤٠٦ وما بعدها) ، الكامل ، لابن الاثير (١/٢٢٧) ، العقد الفريد (٦/٧٨) ، البلدان (٣/٢٦٩ وما بعدها) ، نقائض جرير والفرزدق (١/٤٥٢) (ليدن ١٩٠٧) ، (تحقيق بيفان) ، الكامل لابن الاثير (١/٢٣١) (الطباعة المنيرية) ، البكري : معجم (٤/١١٣٢) ، اليعقوبي (١/١٨٣ وما بعدها)العقد الفريد (٥/٢٢٢) (لجنة) ، نقائض (٢/١٠٧٣) ، الكامل لابن الاثير (١/٣٧٩) .

٢ نقائض جرير والفرزدق (١/٤٥٢) (بيفان) ، أيام العرب (٤٧) .

فوق دم العامة ، وهم السوقة . وان الملك لا يقتل بسبب قتله رجلاً من سواء الناس .

ويظن ان (يوم الكلاب) كان قد وقع سنة (٦١٢) للميلاد[1] .

ويقول الرواة ان (بني تغلب) أخرجت (سلمة) ، فلجأ الى (بني بكر ابن وائل) ، فانضم اليهم ، ولحقت تغلب بالمنذر بن امرىء القيس . وتذكر رواية من الروايات التي يقصها أهل الأخبار عن كيفية نهاية ملوك كندة . ان الأمر لما اشتد على أولاد الحارث ، جمع (سلمة) جموع اليمن ، فسار ليقتل نزاراً . وبلغ ذلك نزاراً ، فاجتمع منهم (بنو عامر بن صعصعة) وبنو وائل : تغلب وبكر ، وقيل : بلغ ذلك كليب وائل ، فجمع ربيعة ، وقدّم على مقدمته السفاح التغلبي وأمره أن يعلو (خزازا)[2] فيوقد عليه ناراً ليهتدي الجيش بها ، وقال له : إنْ غشيك العدو فأوقد نارين . وبلغ سلمة اجتماع ربيعة ومسيرها فأقبل ومعه قبائل مذحج ، وهجمت مذحج على خزاز ليلاً ، فرفع السفاح نارين ، فأقبل كليب في جموع ربيعة اليهم ،فالتقوا بخزاز ، فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزمت جموع اليمن . وفي رواية (أبي زياد الكلابي) ، ان الذي أوقد النار على خزاز (خزازا) هو الأحوص بن جعفر بن كلاب ، وكان على روايته هذه رئيساً على نزار كلها . ويذكر الكلابي ان أهل العلم من الذين أدركهم ذكروا له انه كان على نزار (الأحوص بن جعفر) . ثم ذكرت ربيعة أخيراً من الدهر ان (كليباً) كان على نزار[3] . أما (محمد بن حبيب) ، فيروي ان (كليب وائل) هو الذي قاد جموع (ربيعة) و (مضر) و (قضاعة) في يوم خزاز الى اليمن[4] .

وقال بعض الأخباريين : كان كليب على ربيعة ، والأحوص على مضر[5] .

---

١ Naval, P. 233.

٢ ويعرف أيضا بيوم خزازا ، ويوم خزازي ، البلدان (٣/٤٣٠) النقائض (ص ٨٨٧) ، البكري : معجم (١٠٦ ، ٣٠٣ ، ٥٦٣) ، ابن الاثير (١/٣١٠) ،العقد الفريد (٦/٩٧) (العريان) ، نهاية الارب (١٥/٤٢٠ وما بعدها) ، (طبعة دار الكتب) .

٣ البلدان (٣/٤٣٠) .

٤ المحبر (ص ٢٤٩) .

٥ البلدان (٣/٤٣٠) .

ويعود سبب هذا الاختلاف في روايات الرواة الى النزعات القبلية التي كان يحملها الرواة . فـ (أبو زياد الكلابي) يتعصب كما نرى لـ (بني كلاب)، فيرجع الرئاسة اليهم ، لأنه منهم ، وهذا مما يأباه رواة ربيعة وينكرونه عليه اذ يرون ان الرئاسة فيهم . وتوسط رواة بين رواة ربيعة ورواة مضر حسماً للنزاع على ما يظهر ، فقالوا بالرئاستين : رئاسة كليب على ربيعة ، ورئاسة الأحوص على مضر وبذلك أصلحوا ذات البين .

وقد ذكر (أبو زياد الكلابي) أن يوم (خزاز) أعظم يوم التقت فيه العرب في الجاهلية وانه اول يوم استنصفت فيه نزار من اليمن ، وأنها لم تزل منذ هذا اليوم ممتنعة قاهرة لليمن في كل يوم يلتقونه حتى جاء الاسلام[1] .

وذكر (الأصمعي) أن يوم خزاز كان للمنذر بن ماء السماء ولبني تغلب وقضاعة على (بني آكل المرار) من كندة وعلى بكر بن وائل ، وان المنذر وأصحابه من بني تغلب أسروا في هذا اليوم خمسين رجلاً من بني آكل المرار . ويفهم من شعر لـ (عمرو بن كلثوم) قيل إنه قاله متذكراً هذا اليوم ، أن رهطه وهم من بني تغلب آبوا بالنهاب وبالسبايا وبالملوك مصفدين . ولم يشر الشاعر الى هوية هؤلاء الملوك المأسورين ، ولكن (الأصمعي) يقول : إنه قصد بقوله: « وأبنا بالملوك مصفدينا » (بني آكل المرار)[2] .

فيظهر من الرواية المتقدمة ان يوم خزاز ، كان بين سلمة ومن جاء معه من اليمن وبين تغلب ومن انضم اليها من قبائل ربيعة ومضر . ويظهر من رواية الأصمعي ان ذلك اليوم كان بين المنذر بن ماء السماء وتغلب وقضاعة من جهة وبين (بني آكل المرار) ، وبكر بن وائل من جهة اخرى . وهناك روايات أخرى تذكر ان هذا اليوم ، انما كان قد وقع بين ملك من ملوك اليمن وبين قبائل معدّ ، ولا علاقة له بسلمة وببني آكل المرار أو المنذر بن ماء السماء في هذا اليوم ، الذي أدى الى انتصار بني معدّ على اولاد قحطان[3] .

---

١ البلدان (٣/٤٣٠ وما بعدها) .

٢ النقائض (ص ٨٨٧) ، من بيت لعمرو بن كلثوم :
وآبوا بالنهاب وبالسبايا وأبنا بالملوك مصفدينا

٣ ابن الاثير (١/٣١٠) ، العقد الفريد (٣/٣٦٤) ، نقائض جرير والفرزدق (٢/١٩٣) ، البكري ، معجم (٢/٤٩٦) .

ويذكر بعض أهل الأخبار أنه : « لولا عمرو بن كلثوم ما عرف يوم خزاز». وأم عمرو بن كلثوم ، هي ابنـة (كليب بن ربيعة) ، المعروف بـ (كليب وائل)[1] . فذكره في شعره لذلك اليوم ساعد ولا شك في ابقاء اسمه في ذاكـرة الناس ، حتى دوّن خبره في الاسلام .

وليوم (أوارة) الأول علاقة وصلة بـ (سلمة بن الحارث) وبـ (المنـذر ابن ماء السماء) على ما يرويه بعض أهل الأخبار . فهم يذكرون ان تغلب لمـا أخرجت (سلمة) عنها ، التجأ الى (بكر بن وائل) ، فلما صار عند بكر ابن وائل أذعنت له ، وحشدت عليه ، وقالت : لا يملكنا غـيرك . فبعث اليهم المنذر يدعوهم الى طاعته ، فأبوا ذلك ، فحلف المنذر ليسيرن اليهم ، فان ظفر بهم فليذبحنهم على قلة جبل أوارة . وسار اليهم في جموعه ، فالتقوا بأوارة ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وأجلت الواقعة عن هزيمة بكر وأسر (يزيد بن شرحبيل الكندي) ، فأمر المنذر بقتله وبقتل عدد كبير من بكر[2] .

وأما (شراحيل بن الحارث) ، فقد قتله (بنو جعـدة بن كعب بن ربيعة ابن صعصعة)[3] .

ويحدثنا (يعقوب بن السكيت) انه كان لحجر والد امرىء القيس جملة أولاد أكبرهم (نافع) وأصغرهم (امرؤ القيس) ، وبين الأكـبر والأصغر جملة أولاد ، غير انه لم يذكر أسماءهم[4] . وقد ورد اسم (نافع) في بيت شعـر لامرىء القيس[5] .

وذكر (ياقوت) ولداً لـ (سلمة بن الحارث) سماه (قيساً) قال : انه أغار على (ذي القرنين المنذر بن النعمان بن امرىء القيس بن عمرو بن عدي) فهزمه، حتى أدخله الخورنق ومعه ابناه قابوس وعمرو . فمكث ذو القرنين حولاً ، ثم أغار عليهم بـ (ذات الشقوق) ، فأصاب منهم اثني عشر شاباً من بني حجر ابن عمرو وكانوا يتصيدون ، وأفلت منهم امرؤ القيس على فرس شقراء ، فطلبه

---

١ البكري ، معجم (٢/٤٩٦) .
٢ ابن الاثف (١/٢٢٨) .
٣ البلدان (٣/٤٣٨ وما بعدها) .
٤ الاغانـــي (٨/٦٥) .
٥ الاغانـــي (٨/٦٥) . Olinder, P. 94.

القوم فلم يقدروا عليه . وقدم المنذر الحيرة بالفتية فحبسهم بالقصر الأبيض شهرين ثم أمر بضرب أعناقهم فضربت عند (الجفر) ، فعرف منذ ذلك الحين بـ (جفر الأملاك) ، وهو موضع (دير بني مرينا) . وقد أشير الى مقتلهم في شعر لامرىء القيس[1] .

كندة تلحق بحضرموت:

وقد ذكر الرواة ان ملك كندة لما انخرق،وهلك من هلك منهم ، قام «عمرو أقحل بن ابي كرب بن قيس بن سلمة بن الحارث ، الملك ، فقال : يا معشر كندة . إنكم قد اصبحتم بغير دار مقام . وقد ذهب أشرافكم وانخرق ملككم ، ولا آمن العرب عليكم ، فالحقوا بحضرموت »[2] .

ويذكر الرواة ان الملك خرج من (بني آكل المرار) وساد بنو الحارث بن معاوية فأول من ساد منهم (قيس بن معديكرب) ، ثم ابنه الأشعث بن قيس، وهو الذي اتى النبي في ستين او سبعين راكباً من اشراف كندة فأسلموا . أسلم الأشعث ، وكانت كندة قد توجته عليها[3] .

ويذكر (حمزة) ، ان المنذر بن ماء السماء تتبع غابرهم ، فقتل عامتهم ، وصارت رياسة كندة في (بني جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين)، ثم في (معديكرب بن جبلة) ، ثم في (قيس بن معديكرب) ، وعلى عهده قام الاسلام بمكة ، ثم في (الأشعث بن قيس)[4] .

وقد ذكر (ابن حبيب) ، (الأشعث بن قيس بن معديكرب) في جملة الجرّارين من اليمن[5] . والجرّارون من كان يرأس ألفاً[6] ولا يعد الرجل جرّاراً

---

١ البلدان (١٢٧/٤ وما بعدها) ، (٦٤٨/٢) (طبعة وستنفلد) ، التاج (٣٥٣/٩) .
٢ المحبر (ص ٣٧٠) .
٣ الطبري (١٣٩/٣) ، المفضليات (ص ٤٤١) ، حمزة (ص ٩٣) ،
٤ حمزة (ص ٩٣) .
٥ المحبر (ص ٢٥١) .
٦ المحبر (ص ٢٤٦) .

حتى يقود ألفاً[1] . وذكره في باب (أعرق العرب في الغدر) . فقال عنه إنه غدر بـ (بني الحارث بن كعب) . وكان بينهم عهد وصلح ، فعزاهم فأسروه، ففدى نفسه بمائتي قلوص ، فأدى مائة ، ولم يؤد البقية حتى جاء الاسلام ، فهدم ما كان في الجاهلية . وغدر الأشعث ايضاً فارتد عن الاسلام .

وقال عن والده (قيس بن معديكرب بن معاوية بن جبلة الكندي) ، انه كان من « أعرق العرب في الغدر » كذلك ، وكان بينه وبين مراد ولثٌ الى أجل ، فغزاهم في آخر يوم الأجل غادراً . « وكان ذلك اليوم يوم الجمعة . فقالوا له : انه قد بقي من الأجل اليوم . وكان يهودياً . فقال : انه لا يحل لي القتال غداً . فقاتلهم ، فقتلوه وهزموا جيشه . وكان معديكرب عقد لهرة صلحاً ، فغزاهم غادراً بالعهد . فقتلوه وشقوا بطنه ، فملأوه حصى »[2] .

وقد لقب (قيس) بالأشج ، لأثر شجٍ في وجهه ، وعرف بالأعشى كذلك وقيل له : (بطريق اليمن) . وذكر بعض الرواة ان كلمة (بطريق) تعني الحاذق في الحرب وأمورها[3] .

وفي حق (قيس) هذا قال (الحارث بن حلزة اليشكري) في جملة ما قاله في قصيدته مفتخراً بقومه :

حول قيس مستلئمين بكبش قرظي كأنه عبلاء

وقد قال الشرّاح إن قيساً جاء على رأس جيش لجب ومعه راياته متحصن بسيد من بلاد القرظ ، وبلاد القرظ اليمن ، كأنه في منعته وشوكته هضبة من الهضاب ، قد لبسوا الدروع ، فردّتهم (يشكر) قوم الشاعر ، وقتلوا منهم[4].

ويذكر أهل الأخبار ان الشاعر الأعشى كان ممن يفد على (قيس بن معديكرب)

---

١ المحبر (ص ٢٥٣) .
٢ المحبر (ص ٢٤٤ وما بعدها) .
٣ قيس أبو الاشعث بطريق اليمن لا يسأل السائل عنه ابن من
اللسان (٢١/١٠) (طبعة بيروت) الاغاني (٧٨/٨) ، البيان والتبيين (١٨/١) ، الاغاني (١٢٦/١١) ، الامالي للقالي (٩٢/١) .
٤ المعلقات السبع ، للزوزني (ص ١٦٤) (طبعة صادر ، بيروت) ابن قتيبة ، كتاب المعاني الكبير (ص ٩٤٣) .

من الشعراء . وقد رووا له شعراً قاله لقيس[1] . في جملته قوله :

وجلنداء في عمانَ مقيماً ثم قيساً في حضرموت المنيف[2]

وقد ذكر (ابن حبيب) ان (خالد بن جعفر بن كلاب) ، أسر (قيس ابن سلمة الكندي) يوم الحرمان[3] .

وذكر أهل الأخبار ان ملوك كندة جعلوا ردافتهم في (بني سدوس)[4] .

وجاء ان (الأشعث بن قيس) ، كان قد غلب على اهل نجران وملك رقابهم وجعلهم (عبيداً مملكة) . وذكر انه خاصمهم عند (عمر) في ايام خلافته ، فاحتجوا عليه ان ذلك كان في الجاهلية ، فلما أسلموا سقطت تلك العبودية عنهم[5] .

امرؤ القيس الشاعر :

ويذكر الأخباريون ان (حجراً) لم يكن راضياً عن ابنه (امرىء القيس) فطرده من عنده وآلى الا يقيم معه أنفة من قوله الشعر ، وكانت الملوك تأنف من ذلك . فكان يسير في احياء العرب ومعه اخلاط من شذاذ العرب من طيء وكلب وبكر بن وائل . فإذا صادف غديراً او روضة او موضع صيد ، اقام فذبح لمن معه في كل يوم ، وخرج الى الصيد فتصيّد ، ثم عاد فأكل واكلوا معه وشرب الخمر وسقاهم وغنته قيانه ، ولا يزال كذلك حتى ينفد ماء ذلك الغدير ، ثم ينتقل عنه الى غيره . فأتاه خبر ابيه ومقتله وهو بـ (دمّون) من ارض اليمن ، أتاه به رجل من بني عجل يقال له عامر الأعور أخو الوصاف . فلما أتاه بذلك ، قال :

تطاول الليل عليّ دمّون دمّون ، إنا معشر يمانون
وانـنـا لأهلها محبّون

---

١ الاغاني (٢/٧٨) ، الامالي (١/٩٢) ، الجمحي ، طبقات الشعراء (ص ١٢٣) .
٢ ديوان الاعشى (القصيدة ٦٣ ، البيت ١٥) .
٣ المحبـر (ص ٢٥٢) .
٤ الاشتقاق (ص ٢١١) .
٥ اللسان (١٠/٤٩٣) .

ثم قال : ضيعني صغيراً وحملني دمه كبيراً ، لا صحو اليوم ، ولا سكر غداً ، اليوم خمر ، وغداً أمر . فذهبت مثلاً ثم قال :

خليلي ، لا في اليوم مصحى لشارب ولا في غد إذ ذاك ما كان يشرب

ثم شرب سبعاً فلما صحا آلى ألا يأكل لحماً ولا يشرب خمراً ولا يدهن بدهن ولا يصيب امرأة ولا يغسل رأسه من جنابة حتى يدرك بثأره[1] .

وفي رواية أخرى انه طرد لما صنع في الشعر بفاطمة ما صنع،وكان لها عاشقاً، فطلبها زماناً ، فلم يصل اليها ، وكان يطلب غرة حتى كان منها يوم الغدير بدارة جلجل ما كان ، فقال قصيدته المشهورة : (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل). فلما بلغ ذلك والده غضب عليه ، وأوصى بقتله ثم طرده[2] . وهناك من يزعم انه انما طرد ، لأنه تغزل بامرأة من نساء ابيه[3] .

هذا وصف موجز لأصغر أبناء (حجر) : (امرىء القيس بن حجر الكندي) الشاعر الشهير و (الملك الضليل) و (ذي القروح)[4] .

وللرواة أقوال في اسم (امرىء القيس) ، فقد سمّاه بعضهم (حندجاً) ، ودعاه آخرون (عدياً) ، ودعاه قوم (مليكاً) ، ودعاه نفر (سليمان) وهو معروف عندهم بالاجماع بـ (امرىء القيس) ، وهو لقبه[6] . ويكنى بأبي وهب وأبي زيد وأبي الحارث وذي القروح[6] .

ولا نعرف سنة ولادة هذا الأمير الشاعر . ويظن (أوليندر) انه ولد حوالي

---

١ الاغاني (٦٥/٨) ، ابن قتيبة ، الشعر والشعراء (٥٠/١ وما بعدها) (دار الثقافة بيروت ١٩٦٤) خزانة الادب (١٥٩/١ وما بعدها) ، شرح القصائد العشر ، للتبريزي (ص ٦ وما بعدها) ، معجم الشعراء ، للمرزباني (ص ٩) ، المحبر (ص ٣٥٢) ، نزهة الجليس (١٤٨/٢ وما بعدها) .

٢ الشعر والشعراء (ص ٣١) (طبعة مصطفى السقا) ، القاهرة ١٩٣٢ ، (٣٢). Olinder, P. 96.

٣ الاغاني (٦١/٨) ، الشعر والشعراء (ص ٣١) ، الخزانة ، للبغدادي (٤٣٢/٣) ، سرح العيون ، لابن نباتة (١٨١) ، العمدة ، لابن رشيق (٤١/١ ، ٤٢ ، ٩٧) ، تقريب الاغاني ، لابن واصل (ص ١٠٠١) .

٥ المزهر (٢١٤/٢) ، الآمدي : المؤتلف والمختلف ، (ص ٩) ، جمهرة أشعار العرب (ص ٤٩) ، (القاهرة ١٩٢٦) ، طبقات فحول الشعرا : (دار المعارف) شرح المعلقات السبع ، للزوزني (ص ١ وما بعدها) ، المحبر (ص ٢٣٣ ، ٣٤٩) الاشتقاق (٢٢٢/٢) ، القاموس المحيط (٥٤٦/١) ،

٦ السندوبي (ص ٦ وما بعدها) . Olinder, P. 95.

سنة (٥٠٠) للميلاد[١] . أما أمه فهي (فاطمة) بنت ربيعة بن الحارث بن زهير، أخت (كليب) و (مهلهل) التغلبيين[٢] . وورد في بيت شعر ينسب الى هذا الشاعر : (امرىء القيس بن تملك)[٣] . وقد استنتج بعض العلماء منه ان أمه هي (تملك) ورجعوا نسبها الى (عمرو بن زبيد بن مذحج رهط عمرو بن معديكرب)، ويرى بعض المستشرقين انه أدخل في ديوان هذا الشاعر ، وانه يعود الى شاعر آخر اسمه (امرىء القيس) ، وقد عد (آلوارت) (Ahlwardt) ، ستة عشر شاعراً أسماؤهم (امرؤ القيس)[٤] . ويلاحظ أن من زعم من الرواة ان أم امرىء القيس هي (تملك) جعل نسبه (امرأ القيس بن السمط بن امرىء القيس بن عمرو بن معاوية بن ثور) ، وهو (كندة) ، وهم يخالفون بذلك سلسلة النسب المألوفة عند غالبية الرواة .

وذكر انه ولد ببلاد بني أسد ، وانه كان ينزل بالمشقر وهو موضع ذكر في شعره[٥] . وروى (ابن قتيبة) ان (امرأ القيس) من أهل نجد ، وأن الديار التي وصفها في شعره كلها ديار بني أسد[٦] . وقد تنقّل هذا الشاعر في مواضع متعددة من الجزيرة ، ووصل الى القسطنطينية عاصمة الروم .

وكان امرؤ القيس بـ (دمّون) حينما جاء اليه نبأ مقتل والده على رواية[٧] . ودمّون من قرى حضرموت للصدف في رواية[٨] . وفي رواية أخرى مرجعها (الهيثم ابن عدي) ان امرأ القيس لما قتل أبوه كان غلاماً قد ترعرع ، وكان في بني

---

١ Olinder, P. 95.

٢ ابن الاثير (١/٢١١) ، الاغاني (٨/٦٠) ، Ency., II, P. 477

٣ ألا هلّ أتاها والحوادث جمة بأن امرأ القيس بن تملك بيقرا
ديوان امرىء القيس (٢٠ : ٣٧) ، الاغاني (٨/٦١) ، Olinder, P. 95.

٤ AhlWardt, Bemerkungen über die echtheit der alten Arabischen Gedichte, S. 73.
راجع أخبار المراقسة وأشعارهم في الجاهلية وصدر الاسلام : تأليف حسن السندوبي ، القاهرة ٦٩٣٩ ، وقد جمع فيه أشعار من كان شاعرا ويسمى بـ (امرىء القيس) .

٥ الاغاني (٨/٦١) ، البلدان (٨/٦٥) ، معجم ما استعجم (٥٦١) .

٦ الشعر والشعراء (ص ٣١) (طبعة السقا) ، القاهرة ١٩٣٢ ،
Olinder, P. 95.
Maritm, Arabien, S. 53.

٧ الاغاني (٨/٩٥) .

٨ الصفة (٨٥) ، البكري ، معجم (١/٣٤٨) ، (وساكن دمون هو الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار) ، البلدان (٤/٨٥) .

حنظلة مقيماً ، لأن ظئره كانت امرأة منهم ، وقد روت شعراً زعمت أنه قاله حينما بلغه النبأ ، وهو :

أتاني وأصحابي على رأس صيلع حديث أطار النوم عني فأنعما
فقلت لعجلي بعيد مآبة ابن لي وبين لي الحديث المجمجما
فقال : أبيت اللعن عمرو وكاهل أباحا حمى حجر فأصبح مسلما[1]

ويفهم من هذا أن شاعرنا كان في صيلع حينما أبلغ خبر وفاة والده ، أتاه به رجل اسمه (عجل) ويعرف بعامر الأعور[2] .

أما صيلع ، فموضع من شق اليمن ، كثير الوحش والظباء . ورد اسمه في خبر مجيء وفد همدان الى الرسول[3] . وقد صرح (ياقوت الحموي) أن به ورد الخبر على امرىء القيس بمقتل أبيه حجر[4] .

وهناك خبر يفيد أنه نزل في (بني دارم) وبقي عندهم حتى قتل عمه (شرحبيل) ، وفي رواية تنسب الى (الهيثم بن عدي) أنه كان مع والده (حجر) حين هاجمته بنو أسد ، وانه هرب على فرس له وتمكن من النجاة[5] .

ويقول (ابن الكلبي) و (يعقوب بن السكيت) أن امرأ القيس ارتحل بعد أن بلغه نبأ مقتل والده حتى نزل بكراً وتغلب ، فسألهم النصر على بني أسد ، فبعث العيون على بني أسد ، فنذروا بالعيون ولجأوا الى بني كنانة ، ثم أدركوا ان امرأ القيس يتعقبهم ، ونصحهم (علباء بن الحارث) بالرحيل بليل ، وألا يعلموا بني كنانة ،ففعلوا وتركوا (بني كنانة) وارتحلوا عنهم ليلاً دون أن يشعروا.

فلما وصل امرؤ القيس الى بني كنانة ظاناً بني أسد بينهم، نادى : يالثارات الملك . يالثارات الملك . فأخبروه انهم قد تركوهم وارتحلوا عنهم . فتعقبهم مع بكر وتغلب حتى لحق بهم ، فقاتلهم ، فكثرت فيهم الجرحى والقتلى حتى جاء الليل فحجز بينهم ، وهربت بنو أسد فلما أصبحت بكر وتغلب، أبوا أن يتبعوهم وقالوا له : قد أصبت ثأرك . قال : والله ، ما فعلت ولا أصبت من بني كاهل

---

١ (أباحوا حمى حجر فأصبح مسلما) ، السندوبي (١٨١) ، الاغاني (٦٦/٨) .
٢ الاغاني (٦٥/٨) .
٣ البكري ، معجم (٦١٤/٢) .
٤ البلدان (٤٠٦/٥) .
٥ Olinder, P. 96.

ولا من غيرهم من بني أسد أحداً . قالوا : بلى ، ولكنك رجل مشؤوم ، وكرهوا قتالهم بني كنانة ، وانصرفوا عنه ، ومضى هارباً لوجهه حتى لحق بحمير[1] .

ولما أقبل امرؤ القيس من الحرب على فرسه الشقراء ، لجأ ابن عمته (عمرو ابن المنذر) وأمه (هند بنت عمرو بن حجر آكل المرار) ، وذلك بعد قتل أبيه وأعمامه ، وتفرق ملك أهل بيته ، وكان عمرو يومئذ خليفة لأبيه المنذر بـ (بقة) ، فمدحه وذكر صهره ورحمه ، وانه قد تعلق بحباله ، ولجأ اليه فأرجاه ومكث عنده زماناً . ثم بلغ المنذر مكانه عنده ، وأنذره عمرو ، فهرب حتى أتى حمير[2] .

وفي رواية يرجعها الرواة الى (ابن الكلبي) و (الهيثم بن عدي) و (عمر ابن شبة) و (ابن قتيبة) : ان (امرأ القيس) خرج فوراً بعد امتناع بكر ابن وائل وتغلب من أتباع بني أسد الى اليمن ، فاستنصر أزد شنوءة ، فأبوا أن ينصروه وقالوا : اخواننا وجيراننا ، فنزل بقيل يدعى (مرثد الخير بن ذي جدن الحميري) ، وكانت بينهما قرابة ، فاستنصره واستمده على بني أسد ، فأمده بخمسمئة رجل من حمير ، ومات مرثد قبل رحيل امرىء القيس بهم ، وقام بالمملكة بعده رجل من حمير يقال له : قرمل بن الحميم ، وكانت أمه سوداء ، فردد امرؤ القيس ، وطوّل عليه حتى همّ بالانصراف ... فأنفذ له ذلك الجيش ، وتبعه شذاذ من العرب ، واستأجر من قبائل العرب رجالاً ، فسار بهم الى بني أسد ، ومرّ بـ (تبالة) ، وبها صنم للعرب تعظمه يقال له (ذو الخلصة) ، فاستقسم عنده بقداحه ، وهي ثلاثة : الآمر والناهي والمتربص ، فأجالها فخرج الناهي ، ثم أجالها فخرج الناهي ، ثم أجالها فخرج الناهي ، فجمعها وكسرها وضرب بها وجه الصنم ، وقال : مصصت بظر أمك لو أبوك قتل ما عقتني ، ثم خرج فظفر بـ (بني أسد)[3] .

فلما ظفر بهم ، فقال هذه الأبيات :

قولا لدودان عبيد العصا ما غرّكم بالأسد الباسل ؟
قد قرت العينان من مالك ومن بني عمرو ومن كاهل

---

١ الاغاني (٦٧/٨) ، ابن الاثير ، الكامل (٣٠٦/١ وما بعدها) .
٢ الاغاني (٦٧/٨) .
٣ الاغاني (٦٧/٨ وما بعدها) ، البداية والنهاية ، لابن كثير (٢١٩/٢) .

ومن بـــني غنم بن دودان إذ نقذف أعلاهم عـــلى السافل

* * *

حلت لي الخمر وكنت امـــرأ عن شربها في شغل شاغـــل
فاليوم أشرب غـــير مستحقب إثمـــاً من الله ولا واغـــل

وهي أبيات يفهم منها انه أوقع في (بني دودان) و (بني مالك) و (بني عمرو) و (بني كاهل) و (بني غنم بن دودان) ، وهي بطـون من بـــني أسد،هي التي قتلت أباه حجراً ، قالها بعد أن أنجده (قرمل بن الحميم الحميري) وانه ألبسهم الدروع المحماة ، وكحلهم بالنـــار ، فبرّ بيمينه ، وحل له شرب الخمر[1] .

وبنو دودان ، هم بنو ثعلبة بن دودان بن أسد ، والى ثعلبة هذا تنسب الثعلبية التي بين الكوفة ومكة . وهم جملة بطون ذكرها أهل الأنساب[2] .

والى (قرمل) أشار (امرؤ القيس) في شعره :

وكنّا أناساً قبـــل غزوة قرمل ورثنا الغنى والمجد أكبر أكبرا

وهو من (السحول) من (ذي الكلاع)[3] .

وفي رواية تنسب الى (الخليل بن أحمد الفراهيدي) أن رجالاً من قبائـــل (بني أسد) فيهم (قبيصة بن نعيم) وكان في بني أسد مقيماً ، قدموا عـــلى امرىء القيس بعد مقتل أبيه ، ليعتذروا اليه وليسووا قضية قتل والـده ، فرفض إلاّ الانتقام من (بني أسد) قائلاً : « لقد علمت العرب أن لا كفء لحجر في دم ، واني لن أغتاض به جملاً أو ناقة ، فاكتسب بذلك سبّـة الأبد وفت العضد . وأما النظرة ، فقد أوجبتها الأجنة في بطون أمهاتها ، ولن أكون لعطبها سبباً وستعرفون طلائع كندة من بعد ذلك تحمل القلوب حنقاً وفوق الأسنة علقاً »[4]. وتذكر الرواية أنه خرج اليهم بعد ابطاءٍ دام ثلاثة أيام ، وهو في قبـــاء وخف وعمامة سوداء ، وكانت العرب لا تعمّم بالسواد إلا بالثارات ، فلما نظروا اليه ، وبدر اليه قبيصة ، يتكلم باسمهم معتذراً ، طالباً الصفح عنهم ، ودفع الدية عن

---

١ السندوبي (ص ١٥١) ، الشعر والشعراء (٤٣ وما بعدها) Olinder, P. 102.
٢ جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم (ص ١٨٢) .
٣ الاشتقاق (ص ٣٠٧ ، ٣٠٩) .
٤ الاغاني (٨/٧٢ وما بعدها) .

حجر ، أخبرهم ، أن دم حجر لا يعتاض بجمل أو ناقة ، وأنه لا بد من أخذه بالثأر ، ثم أمهلهم حتى يجمع طلائع كندة ، فيهجم عليهم[1] .

وهناك رواية أخرى تنسب الى (أبي عبيدة) في هذا المعنى المتقدم مآلها أن (بني اسد) اجتمعت « بعد قتلهم حجر بن عمرو الى ابنه امرىء القيس على أن يعطوه ألف بعير دية ابيه ، او يقيدوه من أي رجل شاء من بني أسد،أو يمهلهم حولاً . فقال : أما الدية ، فما ظننت أنكم تعوضونها على مثلي . وأما القود ، فلو قيد إليّ ألف من بني اسد ما رضيتهم ولا رأيتهم كفؤاً لحجر . وأما النظرة فلكم ، ثم ستعرفونني في فرسان قحطان أحكم فيكم ظبا السيوف وشبا الأسنة حتى اشفي نفسي وأنال ثأري »[2] .

ولم تشر رواية (الخليل) و (أبي عبيدة) الى ما فعله (امرؤ القيس) بعد ذلك في (بني اسد) ، ولكننا إذا ما اردنا ربط هذه الروايات بعضها ببعض وبحسب التسلسل الطبيعي المنطقي ، نستطيع ان نجعلها مقدمة لرواية (ابن الكلبي) و (ابن السكيت) و (خالد الكلابي) وملحقها ، وهي رواية (محمد بن سلام) عن نزول (امرىء القيس) بـ (بكر) و (تغلب) ، وطلبه النجدة منهم والنصرة على بني اسد ، واقتصاصه منهم بعد تركهم لـ (بني كنانة) كما ذكرت ذلك سابقاً. وان نربطها كذلك برواية (ابن الكلبي) (والهيثم بن عدي) و (عمرو بن شبة) وابن (قتيبة) الملحقة بهذه الرواية ، والرواية القائلة بذهاب (امرىء القيس) الى اليمن واستنصاره بـ (أزد شنونة) و (مرثد الخير بن ذي جدن الحميري) بعد ان امتنعت بكر بن وائل وتغلب عن ملاحقة بني اسد.

وقد أشار (ابن قتيبة) اشارة مختصرة الى هجوم (امرىء القيس) على بني أسد حينما كانوا في (بني كنانة) ، وذكر انه اوقع بـ (بني كنانة) ، ونجت (بنو كاهل) من بني اسد ، فقال :

يا لهف نفسي اذ خطئن كاهلا القاتلين الملك الحلاحلا
تالله لا يذهب شيخي باطلا[3]

---

١ الاغاني (٨/٧٢ وما بعدها) .
٢ الاغاني (١٩/٨٥) .
٣ الشعر والشعراء (١/٥٠ وما بعدها) ، البداية والنهاية (٢/٢١٨) ، شرح القصائد السبع الطوال ، للانباري (ص ٤ وما بعدها) (دار المعارف ١٩٦٣) ديوان امرىء القيس (ص ٣٤) (دار المعارف) (تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم) ، الحيوان ، للجاحظ (٥/٥٧٨) .

وأما (اليعقوبي) فذكر ان (امرأ القيس) حين بلغه مقتل أبيه جمع جمعاً وقصد (بني أسد) ، فلما كان في الليلة التي أراد أن يغير عليهم في صبيحتها ، نزل بجمعه ذلك ، فذعر القطا ، فطار عن مجاثمه فمرّ ببني أسد ، فقالت بنت (علباء بن الحارث) أحد (بني ثعلبة) ، وكان القائم بأمر بني أسد : ما رأيت كالليلة قطاً أكثر . فقال علباء : « لو ترك القطا لغفا ونام » فأرسلها مثلاً . وعرف ان جيشاً قد قرب منه ، فارتحل ، وأصبح امرؤ القيس فأوقع بكنانة ، فأصاب فيهم ، وجعل يقول : يالثأرات حجر ! فقالوا : والله ما نحن الا كنانة . فتركهم وهو يقول :

ألا ياهف نفسي بعد قوم هم كانوا الشفاء فلم يصابوا
وقاهم جدّهم ببني أبيهم وبالأشقين ما كان العقاب
وأفلتهن علباء جريضا ولو أدركته صفر الوطاب[1]

ولم يشر اليعقوبي الى محاولة (امرىء القيس) تعقيب (بني أسد) وامتناع من كان معه عن الذهاب معه كما رأينا ذلك في الرواية السابقة بل قال : « ومضى امرؤ القيس الى اليمن لما لم يكن به قوة على بني أسد ومن معهم من قيس ، فأقام زماناً ، وكان يدمن مع ندامى له ، فأشرف يوماً ، فاذا براكب مقبل ، فسأله : من أين أقبلت ؟ قال : من نجد ، فسقاه مما كان يشرب ، فلما أخذت منه الخمرة ، رفع عقيرته وقال :

سقينا امرأ القيس بن حجر بن حارث كؤوس الشجا حتى تعوّد بالقهر
وألهاه شرب ناعم وقراقر وأعياه ثأر كان يطلب في حجر
وذاك لعمري كان أسهل مشرعاً عليه من البيض الصوارم والسمر

ففزع امرؤ القيس لذلك ثم قال : يا أخا أهل الحجاز ، من قائل هذا الشعر؟ قال : عبيد بن الأبرص . قال : صدقت . ثم ركب واستنجد قومه ، فأمدوه بخمسمئة من مذحج ، فخرج الى أرض (معد) ، فأوقع بقبائل معد ، وقتل الأشقر بن عمرو ، وهو سيد بني أسد وشرب في قحف رأسه،وقال امرؤ القيس في شعر له :

---

١ اليعقوبي (١/١٧٨) .

قولا لدودان عبيد العصا : ما غرّكم بالأسد الباسل ؟
يا أيها السائـــل عن شأننـا ليس الذي يعلم كالجاهل
حلـــت لي الخمر وكنت امرءاً عن شربها في شغل شاغل

وطلبت قبائل معد امرأ القيس ، وذهب من كان معه ، وبلغه ان المنذر ملك الحيرة قد نذر دمه ، فأراد الرجوع الى اليمن ، فخاف حضرموت ، وطلبته بنو أسد وقبائل معد ، فلما علم انه لا قوة به على طلب المنذر واجتماع قبائل معد على طلبه ولم يمكنه الرجوع ، سار الى (سعد بن الضباب الإيادي ، وكان عامـــلاً لكسرى على بعض كور العراق فاستتر عنده حيناً حتى مات سعد بن الضباب) ، فخرج امرؤ القيس الى جبل (طيء) ونزل بقوم من طيء ، ثم لم يزل في طيء مرة وفي جديلة مرة وفي نبهان مرة حتى صار الى (تيماء) فنزل بالسموأل بن عادياء فأودعه أدراعه وانصرف عنه الى قيصر[1] .

وذكر (ابن خلدون) ان (امرأ القيس) سار صريخاً الى (بني بكـــر) و (تغلب) فنصروه ، وأقبل بهم ، فأجفل (بنو أسد) وساروا الى (المنذر ابن امرىء القيس) ملك الحيرة ، وأوقع (امرىء القيس) في (كنانة) ، فأثخن فيهم ، ثم سار في ملاحقة (بني أسد) الى أن أعيا ولم يظفـــر منهم بشيء ، ورجعت عنه بكر وتغلب ، فسار الى (مؤثر الخير بن ذي جـدن) من ملوك حمير صريخاً بنصره بخمسمئة من حمير ، وبجمع من العرب سواهم . وجمع المنذر لامرىء القيس ومن معه ، وأمده كسرى أنو شروان بجيش من الأساورة، والتقوا ، فانهزم امرؤ القيس ، وفرت حمير ومن كان معه ، ونجا بدمه ، وما زال يتنقل في القبائل والمنـذر في طلبـــه ، وسار الى قيصر صريخاً فأمده ، ثم سعى بـــه (الطمّاح) عند قيصر انه يشبب ببنته، فبعث اليه بحلة مسمومة كان فيها هلاكه ودفن بأنقرة[2] .

و (أبو الفداء) من الذين نفوا كذلك خبر ايقاع (امرىء القيس) بـ (بني اسد) . فهو يرى انه لم يظفر بهم ، وان (بـــني أسد) هربت حينما علمت بمجيء (بكر) و (تغلب) . فلما أعجز القبيلتين الطلب ، تخاذلتا عن (امرىء

---

١ اليعقوبـــي (١/١٨٠) .
٢ ابن خلدون (٢/٢٧٤ وما بعدها) .

القيس) ، وتركتاه . ولما عرفت جموع (امرىء القيس) بتطلب (المنذر بن ماء السماء) له ، تفرقت خوفاً من المنذر ، وخاف (امرؤ القيس) ، وصار يدخل على قبائل العرب ويتنقل من أناس الى أناس حتى قصد (السموأل بن عاديا) اليهودي ، فأكرمه وأنزله ، وأقام عنده ما شاء الله ، ثم سار الى قيصر مستنجداً به[1] .

ينفي خبر (ابن خلدون) المتقدم ، خبر انتقام امرىء القيس من بني اسد، وهو يتفق بذلك مع رواية مؤيدة لبني اسد تنكر اخذ امرىء القيس بثأره من بني اسد ، وتروي في ذلك أبياتاً تنسبها اسد الى (عبيد بن الأبرص) شاعر بني اسد . قال ابن قتيبة : « وقد ذكر امرؤ القيس في شعره انه ظفر بهم ، فتأبى عليه ذلك الشعراء » . قال عبيد :

ياذا المخوفنا بقتل أبيه إذلالاً وحَيْنا
أزعمت انك قد قتلتَ سراتنا كذباً ومينا[2]

وعبيد هذا هو الذي زعم (ابن الكلبي) وأضرابه انه قال أبياتاً يتوسل فيها الى (حجر) ان يترفق بقبائل بني اسد ، وان يعفو عنها ، ويقبل ندامتها ، فيسمح لها بالعودة الى مواطنها . وكان قد امر باجلائها الى تهامة ، لأنها أبت دفع الاتاوة الى جابي (حجر) ، وضربته ، وضرجته ضرجاً شديداً . ومطلعها :

يا عين فابكي ما بني أسد ، فهم أهل الندامة

ويقول ويقولون : انه لما سمعها رَقَّ على (بني اسد) ، فبعث في اثرهم وسمح لهم بالعودة من تهامة[3] . وهو قول فيه تحيز على بني أسد .

ويفهم من هذه الأبيات :

كأني إذ نزلت على المعلّى نزلت على البواذخ من شمام
فما ملك العراق على المعلّى بمقتدر ولا الملك الشآمي

---

١ أبو الفداء (١/٧٥) ، خزانة الادب ، (٣/٥٣٢) ، الكامل لابن الاثير (١/٣٠٨ وما بعدها) .

٢ ابن قتيبة (ص ٣٣) ، الشعر والشعراء (١/٥٠ وما بعدها) (دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٤) ، خزانة الادب (١/١٥٨وما بعدها) تاريخ اليعقوبي (٢/١٨٩) (طبعة النجف) ، الشعر والشعراء (ص ٣٩) ، (طبعة ليدن) .

٣ الاغاني (٨/٦٣) .

أصد نشاص ذي القرنين حتى تولى عارض الملك الهمام
أقر حشا امرىء القيس بن حجر بنو تيم مصابيح الظلام

أن امرأ القيس نزل على (المعلّى) احد (بني تيم بن ثعلبة) فأجاره ومنعه . ولم يكن للملكين : ملك العراق وهو المنذر ولا ملك الشآم أي ملك الغساسنة ، اقتدار عليه . وقد بقي لديه زماناً ، ثم اضطر الى الارتحال عنه [1] . فذهب ونزل عند (بني نبهان) من طيء ، ثم خرج ، فنزل بـ (عامر بن جوين الطائي) وهو احد الخلعاء والفتاك ، فبقي عنده زماناً ، ثم أحس منه ماراً به ، فتغفله ، وانتقل الى رجل من (بني ثعل) فاستجار به ، فوقعت الحرب بين (عامر) وبين (الثعلي) ، فخرج ونزل برجل من (بني فزارة) اسمه (عمرو بن جابر بن مازن) فأشار هذا عليه بالذهاب الى (السموأل بن عادياء) بتيماء، فوافق فأرسله في صحبة رجل من (فزارة) اسمه (الربيع بن ضبع الفزاري) كان يأتي السموأل، فيحمله ويعطيه. فنزل عنده وأكرمه ، ثم انه طلب اليه أن يكتب له الى (الحارث بن أبي شمر) الغساني ، ليوصله الى قيصر . ثم أودعه امرؤ القيس ابنته وأدراعه وأمواله، وأقام ابنته مع (يزيد بن الحارث بن معاوية) ابن عمه وخرج[2] . وكان الذي أشار على (امرىء القيس) بالتوجه الى قيصر هو ذلك الرجل الفزاري[3] .

ويظهر من غربلة كل هذه الروايات ، ان مطاردة (المنذر بن ماء السماء) لامرىء القيس كانت أعنف شيء أصاب هذا الشاعر بعد مقتل والده . لقد أخافته وجعلته يتنقل من قوم الى قوم . فرّ عنه من انضم اليه من عصبة حمير ، ونجا في جماعة من بني آكل المرار، حتى نزل بالحارث بن شهاب في بني يربوع بن حنظلة ومعه أدراعه الخمسة : الفضفاضة ، والضافية ، والمحصنة ، والخريق ، وام الذبول ، كن لبني مرار يتوارثونها ملكاً عن ملك ، فقلما لبثوا عند الحارث بن شهاب حتى بعث اليه المنذر مئة من أصحابه يوعده بالحرب أن يسلم بني آكل المرار فأسلمهم ، ونجا امرؤ القيس ومعه ابن عمه يزيد بن معاوية بن الحارث وبنته هند ، والأدرع والسلاح ، ومال كان بقي عنده ، ومضى الى أرض طيء

---

١ الاغاني (٨/٦٨) ، السندوبي (ص ١٧٩) . Olinder, P. 108.
٢ الاغاني (٨/٧٠) .
٣ الاغاني (٨/٦٨ وما بعدها) .

ونزل عند المعلّي بن تيم الذي مدحه شاعرنا ، فأقام عنده ، واتخذ إبلاً ، ثم خرج فنزل بعامر بن جوين على نحو ما ذكرت[1] .

ويذكر الأخباريون ان (عمرو بن قميئة) كان قد رافق (امرأ القيس) في سفره الى (القسطنطينية) . وقد أشير اليه في شعر (امرىء القيس) كذلك . ويذكرون انه كان من قدماء الشعراء في الجاهلية « وانه أول من قال الشعر من فزار ، وهو اقدم من امرىء القيس . ولقبه امرؤ القيس في آخر عمره ، فأخرجه معه الى قيصر لما توجه اليه ، فمات معه في طريقه . وسمته العرب : عمراً الضائع لموته في غربة وفي غير أرب ولا مطلب »[2] . بل روى انه كان من أشعر الناس[3] . وانه كان من خدم والد امرىء القيس ، وانه بكى وقال لامرىء القيس غررت بنا ، فأنشأ امرؤ القيس شعراً فيه[4] .

أما خبر (امرىء القيس) مع الغساسنة في طريقه الى قيصر ، فلا نعلم منه شيئاً،وليس في شعره ما يشير الى انه ذهب اليهم رجاء التوسط في الوصول اليه .

ويظهر من شعر لامرىء القيس ، انه سلك طريق الشأم في طريقه الى (قيصر) وأنه مر بـ (حوران)[5] وبعلبك وحمص وحماة وشيزر[6] . أما ما بعد ذلك حتى عاصمة الروم ، فلا نعرف من امره شيئاً .

ويقول الرواة ان قيصر أكرم امرأ القيس ، وصارت له منزلة عنده ، وأنه دخل معه الحمّام ، وان ابنته نظرت اليه فعشقته ، فكان يأتيها وتأتيه ، وانه

---

١ الاغاني (٦٨/٨) .

٢ الاغاني (١٥٨/١٦ وما بعدها) .

٣ الاغاني (١٥٩/١٦) .

٤ (ثم سار ومعه عمرو بن قميئة أحد بني قيس بن ثعلبة وكان من خدم أبيه . فبكى ابن قميئة ، وقال : غررت بنا . فأنشأ امرؤ القيس يقول :

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له : لا تبك عينك انما نحاول ملكا أو نموت فنعذرا)

الشعر والشعراء (ص ٤٥ وما بعدها) ، (طبعة ليدن) ، امالي الشريف المرتضى (٦٢٩/١) .

٥ فلما بدت حوران والآل دونها نظرت فلم تنظر بعينيك منظرا
سندوبي (ص ٧٠)

٦ لقد أنكرتني بعلبك وأهلها ولابن جريج في قرى حمص انكرا
سندوبي (ص ٧٠) ،
(ابن جريج) ، Olinder, P. 110.

نادمه ، واستمده فوعده ذلك وفي هذه القصة يقول :

ونادمتُ قيصر في ملكه فأوجهني وركبتُ البريدا [1]

ويذكرون أن (القيصر) أنجد (امرأ القيس) وأمده بجند كثيف فيه جماعة من أبناء الملوك ، ولكن رجلاً من بني أسد اسمه (الطمّاح) كان امرؤ القيس قد قتل أخاً له ، لحق بامرىء القيس،وأقام مستخفياً ، فلما ارتحل (امرؤ القيس) اتصل بجماعة من أصحابه ، اتصلوا بقيصر ، وقالوا له : « ان العرب قوم غدر ولا نأمن ان يظفر بمـا يريد ، ثم يغزوك بمن بعث معه » . وفي رواية لابن الكلبي انه ذهب الى قيصر ، وقال له : « ان امرأ القيس غوي عاهر ، وانه لما انصرف عنك بالجيش ذكر انه كان يراسل ابنتك ويواصلها ، وهو قائـل في ذلك أشعاراً يشهر بها في العرب فيفضحها ويفضحك . فبعث اليه حينئذ بحلة وشي مسمومة منسوجة بالذهب ، وقال له : اني أرسلت اليك بحلتي التي كنت ألبسها تكرمة لك ، فإذا وصلت اليك فالبسها باليمن والبركة ، واكتب اليّ بخبرك من من مزل منزل . فلما وصلت اليه لبسها ، واشتد سروره بها ، فأسرع فيه السم، وسقط جلده ، فلذلك سمي (ذا القروح) . ويستشهدون على قولهم هـذا بشعر امرىء القيس[2] .

ويذكر بعضهم أن امرأ القيس كان مصاباً بداء قديم ، وقد عـاوده في ديار الروم ، وهو عائد الى دياره ، فلما وصل الى (أنقرة) ، اشتد عليه المرض ، فمات هناك . وانه رأى قبر امرأة من ابناء الملوك ماتت هناك ، فدفنت في سفح جبل يقال له (عسيب) ، فسأل عنها فأخبر بقصتها ، فقـال في ذلك شعراً .

---

١ الاغاني (٨/ ٧٠) ، الشعر والشعراء (ص ٤٦) ، (ليدن) ، أمالي المرتضى (١/ ٥٩١) .

٢ ابن قتيبة (ص ٣٣) ،
Olinder, P. III, FR. Ruckert, Amrilkais der Dichter und Konig, Hannover, 1924.
الاغاني (٨/ ٧٠ وما بعدها) ، (الطماح بن قيس الاسدي) ، الشعر والشعراء (١/ ٥٠ وما بعدها) (دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٤) ، (ص ٤٦) ، (ليدن) .
قولـــه :

وبدلت قرحا داميا بعد صحة فيا لك نعمى قد تحـول أبـؤسا

الشعر والشعراء (ص ٤٧) ، (ليدن) .

ثم مات فدفن في جنب المرأة ، فقبره هناك[1] .

ويرى بعض المستشرقين ان ذهاب (امرىء القيس) الى (القيصر) (يوسطنيانوس) كان حوالي سنة (٥٣٠) للميلاد ، وانه توفي في أثناء عودته بين سنتي (٥٣٠) و (٥٤٠) للميلاد[2] .

وليس في كتب الروم او السريان الواصلة الينا اشارة الى هـذه الحوادث التي يرويها الأخباريون عن ذهاب امرىء القيس الى القسطنطينية ، وطلبـه النجدة من القيصر وموته في انقرة ، ولا عن الشعر الذي قاله في حق القيصر ، وفي حق القبر الذي شاهده ، وما الى ذلك مما يذكره الأخباريون .

وأما (المعلّى) الطائي احد بني تيم ، من (جديلة) والذي يعرف قومه بـ (مصابيح الظلام) ، فقد ذكره اهل الأخبار في عداد الوافين من العرب . قيل ان (المعلّى) شخص في يوم لبعض امره ، وبلغ (المنذر بن ماء السماء) ان امرأ القيس عند المعلّى وقد أجـاره ، فركب حتى اتى (ابن المعلّى) . فعمد ابن المعلّى حتى انتهى الى القبة التي هو فيها . فقال له : « إن فيها حرم المعلّى ولست واصلاً اليها » . ونادى في قومه ، فمنعوه ، فقـال امرؤ القيس شعراً يمدح (بني تيم) وذكر نعتهم (مصابيح الظلام) ، وقال :

فما ملك العراق على المعلّى بمقتدر ولا الملك الشآمي[3]

واما (عامر بن جوين الطائي) الذي نزل امـرؤ القيس عنده ، فهـو من

---

١ (ولما صار الى مدينة بالروم تدعى أنقرة ثقل ، فأقام بها حتى مات وقبر هناك . وقال قبل موته :

رب خطبـة مسحنفره وطعنـة متعنجره
وجعبـة متحيـره تدفن غدا بأنقره

ورأى قبرا لامرأة من بنات ملوك الروم هلكت بأنقره ، فسأل عن صاحبه فخبر بخبرها ، فقال :

اجارتنـا ان المـزار قريـب واني مقيـم مـا أقـام عسيـب
اجارتنـا انـا غريبان هاهنا وكـل غريب للغريـب نسيب)

الشعر والشعراء (ص ٤٧) ، (ليدن) ، الاغاني (٨/٧١) ،
Ency., II, P. 477.

٢ Ency., II, P. 477.

٣ المحبر (ص ٣٥٣ وما بعدها) .

(طيء) ثم من (بني جرم) . وقد أقام امرؤ القيس عنده ، حتى قبّل عامر امرأة امرىء القيس ، فأعلمته بذلك،فسار امرؤ القيس الى (جارية بن مرّ الطائي) ثم (الثعلبي) المعروف بـ (أبـي حنبل) ، فلم يصادفه ، وصادف ابنه . فقال له ابنه : « انا أجيرك من الناس كلهم إلاّ من أبـي حنبل » . فرضي بذلك وتحول اليه . فلما قدم ابو حنبل رأى كثرة أموال امرىء القيس وأعلمه ابنـه بما شرط له في الجوار . فاستشار في اكله نساءه . فكلهن أشرن عليه بذلك ، وقلن له : « انه لا ذمة له عندك » . ولكنه خالفهن بعد ان فكر في نفسه وفي سوء عاقبة الغدر ثم قرر الوفاء ، فعقد له جواراً ثم ركب في اسرته حتى نزل منزل عامر بن جوين ومعه امرؤ القيس ، فقـال له : « قبّل امرأته كما قبّل امرأتك . افعل »[1] .

وذكر اهل الأخبار ان (المنذر بن النعمان الأكبر) ، ضغن عـلى (عامر بن جوين الطائي) ، لما أجار (امرأ القيس) ايام كان مقيماً بالجبلين، وقال كلمته التي يقول فيها :

هنالكَ لا أُعطي مليكاً ظلامـة ولا سوقةً حتى يؤوب ابن مندلة

فلما وفد عليه ، وذلك بعد انقضاء ملك كندة ورجوع الملك الى لخم. ودخل عليه ، أنّبه على فعلته وهدّده بغزو قومه ، وبانزاله العقوبة الصارمة بهم . فخرج (عامر) من عنده ، بعد ان قال له: « إن البغي اباد عَمْراً ، وصرع حجراً، وكان أعزّ منك سلطاناً ، واعظم شأناً ، وان لقيتنا لم تلقَ انكاساً ولا أغساساً، فهبّش وضائعَك وصنائعك ، وهلم اذا بدا لك، فنحن الألى قسطوا على الأملاك قبلك » ، ثم اتى راحلته ، وانشأ يقول ابياتاً يتوعد فيها الملك[2] .

ويشير اهل الأخبار الى ملك من ملوك كندة ، عرف بـ (ابـي جبر) . قالوا عنه ، انه كان ملكاً شديد البأس ، خرج الى (كسرى) يستجيشه عـلى قومه ، فأعطاه جيشاً من الأساورة ، فلما بلغوا (كاظمة) ونظروا الى بلاد العرب قالوا : اين يمضي بنا هـذا الرجل ، وعمدوا الى سمّ ، دفعوه الى طبّاخه ،

---

١ المحبر (ص ٣٥٢ وما بعدها) .

٢ كتاب ذيل الامالي (١٧٧) ، (المجلس الاول : مطلب ما دار من الحديث بـين المنذر بن النعمان الاكبر وعامر بن جوين الطائي لما وفد عليه) .

فألقاه في احب الألوان اليه ، فلما استقر في جوفه،مرض وتوجع ، فجاء الأساورة اليه ، طالبين منه ان يكتب لهم انه قد أذن لهم بالرجوع ، فكتب لهم، فرجعوا وخفّ ما بـــه ، فخرج الى (الطائف) الى (الحارث بن كلدة الثقفي) ، ليداويه فداواه وبرىء ، ثم ارتحل يريد اليمن ، فنكس ومات . وكانت له عمّة اسمها (كبشة) فرثته[1] .

هذه قصة (كندة) ، وهذه حكاية شاعرها (امرىء القيس) الذي يعود اليه الفضل في حفظ الأخباريين لتأريخ كندة .

أما شعر امرىء القيس وديوانه وصحيحه وفاسده ، فقد تحدث العلماء فيه ، ولهم فيه كلام يخرجني التعرض له عن صلب هذا الموضوع . فعلى مقالاتهم المعوّل في هذه الأمور .

يتبين للقارىء بعد غربلة الأخبار المتقدمة ، ان كنـــدة كانت قد تمكنت من الهيمنة على القبائل النازلة في أواسط جزيرة العرب ، ومن تكوين مملكة لها،بلغت أوج ملكها في القرن الخامس للميلاد. الا ان ملكها على عادة حكومات القبائل لم يدم طويلاً ، فسرعان ما أخذ بنيانه يتآكل ويتداعى ، فأخذت اجزاؤه تتساقط، وعادت القبائل التي اضطرت بقانون القوة المتحكم في البادية إلى الانفصال عنهـــا وإلى استعادة حريتها بذلك القانون ايضاً . فخسرت كندة ملكها الذي شمل نجداً ووصل العراق ، وبقي رؤساء منها يتحكمون في حضرموت ، ثم أخذوا يتعاملون مع قبائل عربية جنوبية اخرى لتوسيع ملكهم لا سيما بعد تركهم نجداً ولجوئهم الى حضرموت ، ويقدر بعض الباحثين عدد من جاء الى حضرموت من كندة بحوالي ثلاثين الف رجل ، نزل اكثرهم في (دمون)[2] .

السموأل :

ولا بد من الاشارة باختصار الى (السموأل) الذي مر اسمه في أثناء كلامنا على (امرىء القيس) ، وقصته هي في الواقع جزء من قصة هذا الشاعـــر ،

---

١ نزهة الجليس (١/ ٤٨٤) .

٢ Beiträge, S. 121.

وذيل لها . وهو على ما يقوله لنا الأخباريون يهودي ثري ، شاعر ، مقره (الأبلق) بـ (تيماء) يعرف بـ (السموأل بن عاديا) وبـ (السموأل بن غريض بن عاديا) (عادياء) اليهودي[1] . وبـ (السموأل بن حيّان (حسان) ابن عادياء[2]) وبـ (السموأل بن عادياء بن حيا)[3] ، وبـ (السموأل بن حيا ابن عادياء بن رفاعة بن الحارث بن ثعلبة بن كعب)[4] ، وبـ (السموأل بن أوفى بن عادياء)[5] . ويظهر من بيتين من قصيدة للأعشى ، هما :

كن كالسموأل إذ سار الهمام له في جحفلٍ كسواد الليل جرّار
جار ابن حيّا لمن نالته ذمتـه أوفى وأمنع من جار ابن عمّار

أن المراد بـ (ابن حيّا) السموأل ، اي ان اسم والد السموأل هو (حيّا) .

واختلفوا في نسب (عاديا) (عادياء) ، فقالوا : (عادياء بن حباء) وقالوا (عادياء بن رفاعة بن جفنة) ،وقالوا : إنه من ولد (الكاهن بن هارون ابن عمران)[6] ، وقالوا عن قبيلته إنه كان من (بني غسّان)[7] . ونسبه (دارم ابن عقال) الى (رفاعة بن كعب بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء) . وهو نسب أنكره (أبو الفرج الأصبهاني) حيث قال : « وهذا عندي محال ، لأن الأعشى أدرك شريح بن السموأل ، وأدرك الإسلام وعمرو مزيقيا قديم لا يجوز أن يكون بينه وبين السموأل ثلاثة آباء ولا عشرة إلا أكثر ... وقد قيل إن أمه كانت من غسان »[8] . ونسب السموأل الى الأزد[9] .

وللأعشى الشاعر الشهير شعر يرويه الرواة في مدح (الشريح بن السموأل) .

---

١ (عادياء) ، الاغاني (١٩/٩٨) ، ابن سلام الجمحي ، طبقات فحول الشعراء (ص ٢٣٥) ، (طبعة دار المعارف) ، Ency., IV, P. 133.

٢ الميداني ، الامثال (٢/٢٧٦) ، المشرق ، السنة الثانية عشرة ١٩٠٩ م العدد٣ اذار ص ١٦٢ ، (حسان) ، مروج (٢/١٧٦) ، (طبعة دار الاندلس) .

٣ المعرب ، للجواليقي (ص ١٨٨) .

٤ الاشتقاق (٢٥٩) .

٥ المشرق ، العدد المذكور (ص ١٦٢) .

٦ المشرق ، العدد المذكور ، معاهد التنصيص (١/١٣١) .

٧ الاشتقاق (٢٥٩) ، المحبر (٣٤٩) .

٨ الاغاني (١٩/٩٨) ، المشرق ، العدد المذكور .

٩ المعرب (ص ١٨٨) .

وقد ورد فيه اسم ولدين للسموأل ، هما : (حوط) و (منذر)[1] . ولم يذكر الأخباريون اسم الولد الذي زعم ان (الحارث بن أبي شمر) أو (الحارث بن ظالم) قتله لرفض (السموأل) دفع أدرع الكندي اليه ، على نحو ما يذكره الرواة في قصة الوفاء . ونجد مضمون هذه القصة في قصيدة الأعشى الرائية الموجودة في ديوانه . وهي قصيدة تتألف من واحد وعشرين بيتاً ، يروي الرواة انه قالها مستجيراً بـ (شريح بن السموأل) ليفكه من الأسر . وكان الأعشى على ما يقوله الرواة قد هجا رجلاً من (كلب) ، فظفر به الكلبي وأسره ، وهو لا يعرفه ، فنزل بشريح بن السموأل وأحسن ضيافته ، ومرّ بالأسرى ، فناداه الأعشى بهذه القصيدة ، فجاء شريح الى (الكلبي) ، وتوسل اليه بأن يهبه ، فوهبه اياه ، فأطلقه ، وقال له : أقم عندي حتى أكرمك وأحبوك ، فقال له (الأعشى) : « إن تمام احسانك إليّ أن تعطيني ناقة ناجية ، وتخلّيني الساعة ، فأعطاه ناقة ناجية ، فركبها ومضى من ساعته . وبلغ (الكلبي) ان الذي وهبه لشريح (الأعشى) ، فأرسل الى شريح ابعث إليّ الأسير الذي وهبت لكَ حتى أحبوه ، فقال : قد مضى ، فأرسل الكلبي في أثره ، فلم يلحقه »[2] .

وروى (ابن قتيبة) القصة المتقدمة على هذا النحو : « قال أبو عبيدة : أسر رجل من كلب الأعشى فكتمه نفسه وحبسه ، واجتمع عند (الكلبي) شَربٌ فيهم (شريح بن عمرو الكلبي) ، فعرف الأعشى . فقال للكلبي : من هذا ؟ فقال خَشاش التقطته . قال : ما ترجو به ولا فداء له ! خلّ عنه . فخلّى عنه . فأطعمه شريح وسقاه . فلما أخذ منه الشراب سمعه يترنم بهجاء الكلبي ، فأراد استرجاعه . فقال الأعشى :

شريح لا تتركني بعد ما علقت ... حبالك اليوم بعد القد أظفاري
كن كالسموأل اذ طاف الهمام به ... في جحفلٍ كهزيع الليل جرّار
بالأبلق الفرد من تيماء منزله ... حصن حصين وجار غير غدّار[3]

---

١ المشرق ، السنة الثانية عشرة ، ١٩٠٩ م ، العدد ٣ اذار ، (ص ١٦٣) .
٢ الاغاني (٩٩/١٩ وما بعدها) ، ديوان الاعشى (ص ١٢٦ وما بعدها)، (تحقيق رودلف كاير) ، (لندن ١٩٢٨ م) ، ديوان الاعشى الكبير (ص ١٧٩) ، (تحقيق الدكتور م. محمد حسين) .
٣ الشعر والشعراء (ص ١٣٩) ، (الاعشى ميمون بن قيس) .

فجعل الرجل المجير (شريح بن عمرو الكلبي) ، أي من العشيرة التي أسر أحد رجالها الأعشى ، ولم يجعله ابناً من أبناء السموأل .

وجاء نسب (شريح) في شرح (أبي العباس ثعلب) على ديوان الأعشى على هذا الشكل : (شريح بن حصن بن عمران بن السموأل بن حيّا بن عاديا)[1] ، فصار (السموأل) جدّاً من أجداد (شريح) لا والداً له .

وقد اختلف الأخباريون في الرجل الذي طالب السموأل بتأدية سلاح (امرىء القيس) اليه ، فزعم بعضهم أنه (الحارث بن أبي شمر الغسّاني)[2] . وزعم بعض آخر أنه (الحارث بن ظالم) في بعض غاراته بالأبلق ، وزعم آخرون أنه (المنذر) ملك الحيرة ، وجّه بـ (الحارث بن ظالم) في خيل ، وأمره بأخذ مال امرىء القيس من السموأل ، وزعم انه (الأبرد) وهو الملك الغساني. وكان الحارث بن أبي شمس لما قتل المنذر بعين أباغ ، وجه ابن عمّه الأبرد ، فجعله بين العراق والشام . فلما سمع الأبرد بهلاك امرىء القيس ، طالب السموأل بدفع الدروع اليه ، فامتنع ، فذبح ابنه وهو يراه . ولم يصرح بعضهم باسم الملك الذي طالب بتأدية الدروع ، انما ذكروا انه كان بعض ملوك الشأم[3] .

واذا تتبعنا الروايات الواردة في قصة وفاء السموأل ، وذبح ابنه ، وامتناعه عن تأدية الأمانة المودعة لديه ، نجد أنها ترجع الى موردين : قصة (دارم بن عقال) وشعر الأعشى . ويلاحظ أن في شعر الأعشى كثيراً من أخبار السموأل ، ومن شعره أخذ الأخباريون (تيماء اليهودي) ، وهذه ملاحظة تستحق الدرس[4] . ويفهم منه أن الأعشى كان ممن يرتادون حصن السموأل . أما (دارم بن عقال) ، فهو من ولد السموأل . وهو راوي خبر قصة الوفاء ، والأشعار المنسوبة الى امرىء القيس المتعلقة بهذا الموضوع . وقد أشار الى ذلك مؤلف كتاب (الأغاني) في أثناء كلامه على قصيدة نسبت الى (امرىء القيس) ، ابتداؤها :

طرقتك هند بعد طول تجنب وهنا ولم تك قبل ذلك تطرق

---

١ ديوان الاعشى (١٢٥) ، (تحقيق كاير) .
٢ طبقات فحول الشعراء (٢٣٥) ، الاغاني (٩٩/١٩) .
٣ الاغاني (٩٩/١٩) ، ديوان الاعشى (١٢٦) ، (كاير) ، المحبر (٣٤٩) .
٤ البلدان (٤٤٢/٣) ، الحيوان للجاحظ (١٨٨/٦) ، المشرق ، الجزء المذكور (ص ١٦٣) .

فقال : « وهي قصيدة طويلة ، وأظنها منحولة ، لأنها لا تشاكل كلام امرىء القيس ، والتوليد فيها بيّن ، وما دوّنها في ديوانه أحد من الثقات ، وأحسبها مما صنعه دارم ، لأنه من ولد السموأل ، ومما صنعه من روى عنه من ذلك فلم تكتب هنا ... »[1] . ولا أستبعد أن تكون هذه القصة ، قصة الوفاء من صنع هؤلاء الصنّاع .

ويرى (ونكلر) (Winckler) ان قصة الوفاء هذه هي أسطورة استمدت مادتها من أسفار (صموئيل الأول) في التوراة ، ومن الأساطير العربية القديمة نظمت على هذه الصورة فجعل بطلها شخصان هما : السموأل وامرؤ القيس[2] .

ولا بد لي وقد انتهيت من البحث عن امارة كندة،من الاشارة الى (الأكيدر) صاحب (دومة الجندل) ، فقد نسبه أهل الأخبار الى (كندة) . وقد ذكروا انه من السكون ، والسكون هم من كندة . ومعنى هذا ان عائلة تنتمي الى كندة كانت تحكم هذا الموضع المهم في البادية ، لأنه ملتقى طرق قوافل وسوق معروف من أسواق الجاهليين .

كندة في العربية الجنوبية :

وقفنا على أخبار كندة بنجد وفي العربية الشرقية الى العراق . ثم رأينا ما حل بتلك الامارة وكيف تشتت شملها . ونريد الآن أن نتحدث عن دور هذه القبيلة في العربية الجنوبية .

يرى بعض الباحثين ان الخصومات التي وقعت في امارة كندة ، وتعقب ملوك الحيرة ولا سيما (المنذر) لساداتها ، وانفضاض القبائل التي كانت تخضع لها عنها ثم سقوط امارة كندة ، دفعت بعشائر كندة إلى الاتجاه نحو الجنوب نحو العربية الجنوبية ، ولا سيما حضرموت ، وهي موطنها القديم ، فنزحت اليها واستوطنت بها . وكوّنت لها امارة كندية بحضرموت .

---

١ الاغاني (٨/ ٧٠) .

٢ H. Winckler, Arabisch-Semitisch-Orientalisch, in Mittei. der Vorder Asia. Gesel., 1901, S. 112. 6 Jahrgang.

وهـــذا القول يجب ألا يفسر على أن مجيء كندة الى العربية الجنوبية انما كان بعد سقوط حكومتهم وتشتت أمرهم ، فقد أشرت فـــيما سلف في مواضع الى وجود كندة في العربية الجنوبية قبل هذا العهد بزمن طويل ، وأشرت الى ورود اسمها في نصوص المسند والى الأدوار التي لعبتها في ايام ملوك سبأ وذو ريدان ، قبل الاسلام بمئات السنين ، بل ربما كان ذلك قبل الميلاد .

وقد رأينا فيما سلف ورود اسم (كندة) (كدت) في نص أمر بتدوينـــه الملك (معديكرب يعفر ملك سبـــأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت واعرابها في النجاد وفي المنخفضات) . وهو من النصوص التي عثر عليها في (وادي مأسل) (وادي ماسل) (مأسل الجمح)[1].وقد دوّن ووضع في موضع (مأسل الجمح)[2] لمناسبة ارسال الحملة العسكرية الى موضع (كتا) لمحاربة (مذر) أي (المنذر) الذي أعلن الحرب على قبائل هذه الجهات . وقد اشتركت في هذه الحرب قبائل سبأ وحمـــير و (رحبت) (رحبة) وحضرموت و (يمنـــت) (اليمن) والأعراب و (كدت) أي (كندة) و (مَذْحج) . واشترك مع المنـــذر (مذر) بنو ثعلبـــة (بن ثعلبت) و (شبيع ؟) . وقد أرخ النص بشهر (ذ قيضن) (ذو قيض) (ذو القيض) من سنة (٦٣١) من التقويم الحميري أي في صيف سنة ٥١٦ للميلاد[3] .

ويظهر من هذا النص أن (المنذر) كان قد بلغ في حروبه مناطق بعيدة عن قاعدة ملكه ، وانه هو الذي غزا القبائل القاطنة في وادي مأسل الجمح (ما سلم جمحن).ولعله كان يتعقب عشائر كندة ومن كان يؤازرها ويعادي ملك الحيرة، حتى بلغ هذا المكان الذي كان خطاً أمامياً من خطوط الدفاع لحكومة « سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت وأعرابها في الأطواد والمنخفضات » . ولهذا السبب هب الملك (معديكرب) لمساعدة (كندة) على نحو ما ورد في النص .

وقد ذكرت (كدت) كندة مع مراد ومذحج والقبائل الأخرى في الهجوم الذي قام به الملك (يوسف اسار) (يوسف أسأر) على الأحباش في مدينـــة (ظفار) ، وعلى المدن التي كانت تناصرهم . وقد ورد تأريخ هذا الهجوم في

---

١ كدأبك مـــن أم الحويرث قبلها وجارتها أم الربـــاب بمأيل

٢ (بما سلم جمحن) .

٣ Le Muséon, LXVI, 1953, P. 307, 310, Ryckmans 510-446.

نص سجله القيل (شرح ايل يقبل بن شرحب ايل يكمل) من (ال يزن) (آل يزن) (آل يزأن) بالاشتراك مع (جدن) (جدنم) و (حبم) (حب) و (نسأ) (نسان) (نسن) و (جبا) (جبأ) لهذه المناسبة .

ويتبين من هـذا النص ان الملك (يوسف اسار) (يوسف أسأر) هاجم (ظفار) مقر الأحباش ، واستولى على الكنيسة (قلسن) (القلّيس) ، ثم سار بعد ذلك على (أشعرن) (الأشعر) ، وعيّن القيل على رأس جيش ، ثم سار الى (مخون) (مخا) فقتل سكانها واستولى على كنيستها ، وهدم جميع حصون (شمر) ومعاقلها والسهل . وعندئذ قام بهجوم ماحق على (أشعرن) . وقد قُتل في هذه المعارك عدد كبير من الناس : قُتل ثلاثة عشر الف قتيل ، وأخذ تسعة آلاف وخمسمئة اسير ، واستولى على (٢٨٠) الف من الإبل والبقر والمعز . وأخذت غنائم عديدة أخرى .

وأمر الملك بعد هذه المعارك القيل (شرح ايل يقبل) (شرح ال يقبل) بالالتحاق بالجيش الذي أرسل الى نجران . وفي صعيد هذه المدينة اجتمع رؤساء (بني أزأن) (آل يزأن) (بن يزن) وقبائل همدان وكندة ومراد ومذحج وأعرابها . فتغلبت جيوش الملك على هذه المدينة ، وأنزلت بسكانها خسائر كبيرة في الأموال والأرواح ، ووضعت الأغلال في ايدي الأسرى ، وقتل من وجد هناك من الأحابيش . وكان مع الملك في جيشه من الرؤساء : (لحيعت برخم) و (سميفع أشوع) و (شرحب ايل أسعد) . وقد دوّن هذا النص في شهر (ذ قيضن) (ذو القيض) من شهور صيف سنة (٦٣٣) من التقويم الحميري الموافقة لسنة (٥١٨) للميلاد[1] .

وقد لعبت (كندة) (كدت) دوراً خطيراً في الأوضاع السياسية والعسكرية في أيام استيلاء الحبش على العربية الجنوبية ، كما يتبين ذلك من الفصل الخاص المتعلق بهذا الموضوع . وقد دخل رؤساؤها في الاسلام ، فتبعهم أتباعهم ، كما يرد ذلك في كتب التواريخ والسير .

ويذكر أهل السير والتواريخ ، أن وفداً من وفود (كندة) ، كان في جملة

---

١ Ryckmans 508, Le Muséon, LXVI, PP. 295., Bulletin, P. 458.

الوفود التي قدمت المدينة لمبايعة الرسول في السنة العاشرة من الهجرة . وكان قد رأسه (الأشعث بن قيس الكندي) . « دخلوا على رسول الله مسجده ، وقد رجّلوا اجممهم ، وتكحلوا ، عليهم جبب الحبرة ، قد كفّفُوها بالحرير » ، ثم قال الأشعث : « يا رسول الله ؛ نحن بنو آكل المرار ، وأنت ابن آكل المرار » ، يفتخر بجده (آكل المرار) ، وبـ « أن كندة كانت ملوكاً »[1] .

وقد عرف جد (الأشعث بن قيس بن معديكرب بن معاوية) ، بمعاوية الأكرمين ، وانما سمي معاوية الأكرمين لأنه ليس في آبائه إلاّ ملك أو رئيس . وكان كريم الطرفين . وقد ذكره (الأعشى) في شعر له . وكان أحد ملوك كندة بحضرموت[2] .

وكان (مخوص) (مخوس) ومشرح وجمد وأبضعة بنو معديكرب بن وليعة بن شرحبيل بن معاوية من سادات كندة عند ظهور الاسلام . وقد لقب كل واحد منهم نفسه بلقب (ملك) . واختص كل واحد منهم بواد ملكه . وقد نزلوا المحاجر ، وهي أحماء حموها ، وقد عرف هؤلاء بالملوك الأربعة من (بني عمرو بن معاوية) ، وقد لعنهم النبي[3] . وقتلوا في الردة[4] .

ويرجع النسابون نسب كندة الى جدّ أعلى قالوا له (عُفير بن عدي) وهو والد (ثور) . و (ثور) هو كندة[5] . وولد (كندة) معاوية بن كندة وأشرس ، وامهما هي رملة بنت اسد بن ربيعة بن نزار[6] . ويمثل هذا النسب صلة كندة بقبائل معد ، وارتباط تأريخها بها ، وتملكها عليها قبل الاسلام بزمن. وهو تملك جعل (كندة) تفتخر به ، حتى صارت تدعو نفسها : (كندة الملوك). ويذكر (الهمداني) ، ان الشاعر (امرؤ القيس) ، كان يفتخر ويقول :

لا ينكر الناس منّا يوم نملكهم كانوا عبيداً وكنا نحن أربابا[7]

---

١ الطبري (٣/١٣٨ وما بعدها) ، (قدوم الاشعث بن قيس في وفد كندة) .
٢ الاكليل (١/٩٠) .
٣ ابن الاثير (٢/١٥٨ وما بعدها) ، البلدان (٣/٢٩٤) ، (حضرموت) ، ابن خلدون (٢/٥٦) ، القسم الثاني : الوفود .
٤ الاشتقاق (٢٢٠) .
٥ الاكليل (١/١٤٦) .
٦ الاكليل (١/١٤٥) .
٧ الاكليل (١/١٤٥) .

وان (تبّعاً الآخر) ، وهو (عمرو بن حسان) ، عيّن حجراً آكل المرار على معد كلها ، فالملك على (معد) لكندة . وان (كندة) كانت تقول : « لم تزل لها نزار ومن نزل الحيرة والشأم من العرب طعمة ورعية » .

وقد نسب بعض النسابين (كندة) الى كندة ، وهو ثور بن مرتع بن معاوية ابن كندي بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان[1] . ونسبه بعض آخر الى (كندة بن عفير بن الحارث) ، الى غير ذلك من آراء . وقد زعم بعض النسابين ان (الصدف) واسمه (مالك) ، وهو جد (الصدف) ، هو شقيق كندة[2] .

ومن بطون كندة معاوية بن كندة،ومنه الملوك بنو الحارث بن معاوية الأصغر ابن ثور بن مرتع بن معاوية ، أسلاف الشاعر امرؤ القيس ، وقد حكموا القبائل الأخرى من غير كندة ، ومنها قبائل من عدنان[3] .

و (الأشرس بن مرتع)،هو أخو (كندة) ، وهو ابو السكون والسكاسك[4]. ونسب السكاسك الى (حميس السكسك بن أشرس بن ثور . وهو كندة بن عفير)[5]. ومن السكون (تجيب) . وكان (أكيدر بن عبد الملك) صاحب دومة الجندل من السكون . وأخوه بشر بن عبد الملك . يذكرون أنه ذهب الى الحيرة ، وتعلم بها الخط ، ثم رجع الى مكة فتزوج الصهباء بنت حرب أخت أبي سفيان . ومنه تعلم أهل مكة الكتابة[6] .

ويذكر أهل الأخبار أن كندة لما خرجت من (الغمر) : غمر ذي كندة ، نزلت بحضرموت وتآلفت مع الصدف تذكرت الأواصر والقرابات التي كانت تربطها بـ (الصدف) فصارت تحارب معها[7]،وجعل (الهمداني) أهل حضرموت من كندة والصدف وحمير .

---

١ جمهرة أنساب العرب (ص ٣٩٩) ، الاكليل (٤/١٠) ، الانباه (١١٤) ، الاشتقاق (٢١٨) ، ابن خلدون (٢٥٧/٢) ، صبح الاعشى (٣٢٨/١) ، نهاية الارب (٣٠٣/٢) ، الروض الانف (٣٤٥/٢) ، تاج العروس (٤٣/١) ، (٢٨٧/٢) ، اللسان (٣٨٦/٤) .

٢ الاكليل (٥/١٠) .

٣ ابن خلدون (٢٥٧/٢) .

٤ الاكليل (٣٥٨/١) .

٥ الانباه (١١٥) ، الاشتقاق (٢٢١) ،تاج العروس (١٤١/٧) ، تأريخ العرب قبل الاسلام (٢٨١/٤) .

٦ جمهرة (٤٠٣ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢٥٧/٢) .

٧ الاكليل (١٥/٢ فما بعدها) . Beiträge, S. 133.

لقـد ذهب (كوسان دى برسفـال) (Caussin de Perceval) الى أن (كيسوس) (Kaisus) (Caisus) المذكور عند (بروكوبيوس) و(نونوسوس) (Nonnosus) هو (امرؤ القيس)[1] .

ذكر (بروكوبيوس) ، أن القيصر (يوسطنيانوس) (Justinianus) ، أرسل رسولاً هو (يوليانوس) (Julianus) الى (Esimiphaaeus) (السميفع أشوع) ليطلب منه بحكم رابطة الدين والمصالح المشتركة تنصيب أحد أبناء الأشراف ورؤساء القبائل واسمه (Kaisus) (Caisus) على (معـدّ) (Maddeni) ، وأن يرسل قوة كبيرة من رجاله يشتركون مع الـ (سرسين) والـ (Maddenin) في غزو مملكـة الفرس[2] . وكان (كيسوس) هذا قد قتل أحـد أقارب (Esimiphaaeus) والتجأ الى البادية ، ولم يقم أي منهـما بالغزو ، ولم يذكر (بروكوبيوس) شيئاً آخر عن (كيسوس) هذا ، أي (قيس) . وقد كانت سفارة (يوليانوس) الى الحميريين قبل موت (قباذ) اي قبل سنة (٥٣١ م)[3]. وفي الخبر اشارة الى شجاعة (قيس) وكفاءته وحزمه ، لهذه الأسباب ولأسباب سياسية أخرى رغب القيصر في تعيينه رئيساً على معد .

وذكر (نونوسوس) ان القيصر (يوسطنيانوس) كلفه الذهاب في سفـارة الى (Kaisos) (قيس) حفيد (الحارث) (Aretas) ورئيس قبيلتين عظيمتين من أعظم قبائـل الـ (سرسينوى) (Saracynoi) هما (Kindyoi) كنـدة و (معد) (Maadynoi) لمواجهته ودعوته للذهاب الى الانبراطور اذا أمكنـه ذلك . فذهب اليه ، ونفذ أوامر القيصر ، وعاد الى بلده سالماً . وكان القيصر (أنسطاسيوس) (Anastasius) قد كلف جـد (نونوسوس) أن يذهب الى الحارث ليعقد عهداً معه ، كما ان القيصر (يوسطينوس) ، كلف أبا (نونوسوس) وهو (ابراهام) (ابراهيم) أن يذهب الى (المنذر) (Alamoundaros) رئيس الـ (سرسينوى) لمفاوضته في فك أسر قائدين كانا أسيرين لديه،هما (تيموستراتوس)

---

١ Olinder, P. 114, Caussin de Perceval, Essai., II, P. 317.

٢ Procopius, History of the Wars, P. 193, I, XX, 9-13.

٣ Olinder, P. 114.

و (يوحنا) . ثم كلف مرة ثانية في عهد (يوسطنيانوس) (Justinianus) سفارة اخرى لدى قيس ، لعقد معاهدة معه . وقد تمكن من ذلك ، وعاد ومعه أحد أبناء (قيس) واسمه (معاوية) (Mauias) ليكون رهينة في (بوزنطية) عند (يوسطنيانوس) . وكلف (ابراهيم) مرة أخرى ان يذهب الى (قيس) بمهمة سياسية اخرى ، فذهب اليه وأقنعه بالقدوم الى (بوزنطية) ، فقسم ولايته على القبائل بين أخويه (يزيد) (Jezidos) و (Aumros) (عمرو) ، ونال من الانبراطور ولاية (فلسطين) ، وجاء معه بعدد لا يحصى من مرؤوسيه[1] .

وقد ذكر (ملخوس الفيلادلفي) (Malchus of Philadelphia) اسم عامل عربي سمّاه (Amorkesos) أي (امرؤ القيس) . كان كما قال رئيساً على بطن من بطون الأعراب (Sareceni) هو بطن (Nokalian) (Nokhalian) . وذكر ان (بطرس) (Peter) أسقف أهل الوبر (Saraceni) ذهب في عام (٤٧٣) للميلاد الى القسطنطينية ليطلب من القيصر (ليون) (Leo) أن يمنح هذا الرئيس درجة (عامل) (Phylarchus) (فيلارخ) على العرب المقيمين في العربية الحجرية.

وكان هذا الرئيس يقيم مع قبيلته في الأصل كما ذكر (ملخوس) في الأرضين الخاضعة لنفوذ الفرس ، ثم ارتحل عنها ونزل في أرضين قريبة من حدود الفرس وأخذ يغزو منها حدود الساسانيين ، والقبائل العربية المقيمة في الأرضين الخاضعة للروم . فتمكن بذلك من بسط نفوذه وسلطانه على القبائل حتى بلغ ساحل البحر الأحمر ، واستولى على جزيرة (ايوتابا) (Iotabe) ، وهي جزيرة مهمة كان الروم ينزلون فيها لجمع الضرائب من المراكب الذاهبة الى المناطق الحارة أو الآيبة منها ، فتصيب الحكومة أرباحاً عظيمة جداً . فلما استولى على تلك الجزيرة، صار يجبيها لنفسه ، حتى صار غنياً جداً . كذلك حصل على ثروة عظيمة من الغنائم التي حصل عليها من غزوه للمواضع المجاورة لهذه الجزيرة والواقعة في العربية الحجرية وأعالي الحجاز[2] .

---

١ المشرق ، السنة الثامنة ، العدد ٢١ ، ١ تشرين الثاني ، سنة ١٩٠٥ م ، (ص ١٠٠٥) ، شيخو ،النصرانية وآدابها ، (القسم الثاني ، الجزء الثاني) (ص ٤٣٣ وما بعدها) ،
Migne, Patrol. Gree., Phot., Bibl. CIII, 46-47, Olinder, P. 114.

٢ Musil, Hegaz, P. 306.

وأراد (امرؤ القيس) (Amorkesos) ، بعد ان بلغ من النفوذ مبلغه ، الاتصال بالروم ، والتحالف معهم ، والاعتراف به عاملاً رسمياً على العرب الذين خضعوا له وعلى العرب المعترفين بسلطان الروم عليهم . ولذلك أرسل الأسقف (بطرس) أسقف قبيلته ، ليكون رسوله الى القيصر . وقد نجح هذا الأسقف في مهمته ، وتوسط في دعوة (امرىء القيس) لزيارة القسطنطنية ، فلما وصل اليها استقبل بها استقبالاً لائقاً ورحب به ترحيباً حاراً ، ولا سيما بعد أن أعلن دخوله في النصرانية ، فأنعم عليه القيصر بالهدايا والألطاف وعيّنه (عاملاً) (Phylaechus) على تلك الجزيرة وعلى مواضع أخرى وعلى أعراب العربية الحجرية . ثمّ عاد مكرماً ، بالرغم من أن معاهدة الصلح التي كانت بين الروم والفرس كانت قد حرمت دخول رؤساء الأعراب وقبائلهم النازحين من مناطق أحد الطرفين في أرضين الطرف الثاني[1] .

ويحتمل على رأي (الويس موسل) أن يكون هذا الشيخ قد هاجر من (الوديان) و (الحجيرة) ، الى (دومة الجندل) ومنها صار يغزو أعراب (العربية الحجرية) ،والمناطق المجاورة لها من (فلسطين الثالثة) (Palestina Tertia) ويتوسع فيها حتى بلغ ساحل البحر ، فتحكم في جزيرة (Iotabe) المهمة التي كانت محطة تجارية خطيرة للاتجار مع الهند ، وفي الطريق البري المهم الذي يربط ديار الشأم بالعربية الجنوبية ، فحصل على سلطان واسع ونفوذ عظيم[2] .

ولعل هذه الجزيرة هي جزيرة (Ainu) التي ذكرها (بطلميوس) ، أخذ تسميته هذه من (حينو) (حاينو) (Hainu) الاسم الذي كانت تعرف به عند الأنباط[3] . ويظن أنها جزيرة (تاران) (تيران) . وذكر (ياقوت) أن سكانها قوم يعرفون بـ (بني جدان)[4] .

ويحدثنا (ثيوفانس) ان هذه الجزيرة كانت في عام (٤٩٠) للميلاد في أيدي

---

١ Musil, Hegaz, P. 306.

٢ Musil, Hegaz, P. 306.

٣ Musil, Hegaz, P. 307, Ptolemy, VI, 7, 43.

٤ البلدان (٢/٣٥٢) Musil, Hegaz, P. 306.

الروم ، استولى عليها حاكمهم (Dux) على فلسطين بعد قتال شديد[1] . ويدل خبر هذا المؤرخ على ان الروم انتزعوا هذه الجزيرة من (امرىء القيس) أو من خلفائه بعد مدة ليست طويلة من استيلاء امرىء القيس عليها . ولعلهم استولوا عليها بعد وفاة هذا العامل على أثر نزاع وقع بين أولاده وورثته أضعف مركز الإمارة ، فانتهز الروم هذه الفرصة وانتزعوا ما تمكنوا من انتزاعه من أملاك هذا الرئيس .

ويظن ان (Nokalian) هو (النخيلة) . و (النخيلة) موضع معروف قرب الكوفة على سمت الشام[2] ، وهو موضع ينطبق عليه ما ذكره (ملخوس) من انه كان في أرض كانت تحت نفوذ الفرس .

وكان يحكم هذه المنطقة في ايام (يوسطنيانوس) (Justinianus) (Joustinianus) رئيس يدعى (أبو كرب) (Abochorabus) ، وكانت له واحة خصبة مزروعة بالنخيل ، وهبها الى القيصر . فقبلها منه ، وعيّنه رئيساً (Phylarchus) على أعراب (Saracens) فلسطين . فحمى له الحدود من غزو الأعراب ،ومنع اعتداء القبائل في الداخل . وذكر (بروكوبيوس) ان هناك أعراباً آخرين كانوا يجاورون أعراب هذا الرئيس ، يدعون بـ (Maddeni) أي (معد) ، يحكمهم (Homeritae) أي الحميريون[3] . ويظهر من كلام هذا المؤرخ ان قبائل معد كانت في أيامه تابعة لحمير . ومعنى هذا ان نفوذهم كان قد امتد في هذا العهد حتى بلغ أعالي الحجاز . وفي كلامه هذا تأييد لروايات الأخباريين الذين يتحدثون عن بلوغ التبابعة هذه الأماكن ، وعن حروب وقعت بين العدنانيين والقحطانيين.

وليس في الذي أورده (بروكوبيوس) أو (نونوسوس) ، ما يثبت ان (قيساً) هو (امرؤ القيس) . ومجرد تشابه الاسمين لا يمكن أن يكون حجة على انهما لمسمى واحد . ثم ان ما ذكره (نونوسوس) من ان (قيساً) كان رئيساً على قبيلتي (كندة) و (معد) لا يكون دليلاً على انه كان حتماً من (كندة) أو انه كان حتماً (امرأ القيس) الشاعر الذي يعرفه الأخباريون . لذا فنحن لا نستطيع الجزم في الوقت الحاضر بتعيين هوية هذا الرئيس .

---

١ Theophanes, Chronographia, P. 121, Musil, Hegaz, P. 307.

٢ البلدان (٨/٢٧٦ وما بعدها) . Blau, in ZDMG., 22, 1868, S. 578.

٣ Procopius, De Bello Persico, I, 19, Musil, Hegaz, P. 307.